عدو الأغنياء



التنيس

عدو الأغنياء

رواية بوليسية طريفة حافلة بالمفاجآت

بقلم الكاتب الانجليزى : ليسلى تشارتريس

القسم الأول

مؤامرة رهيبة

الفصل الأول

كانت هناك مائدة صغيرة مهياة في ركن منزو من مطعم (الرى) جلس اليها رجلان احدهما مستر وليام نيل كبير مفتشى البوليس السرى بادارة سكتلانديارد .. اما الثانى فكان سيمون تمبلار ..

ولما فرغا من طعام العشاء أخرج نيل من جيبه لفافة من اللبان الأمريكى فنزع غلافها وتناول قطعة منها أخذ يمضغها على مهل وهو يرسل لتشدقه صوتا خفيفا واستطرد تمبلار يقول :

ـ الواقع يا عزيزى نيل انى لم ارتكب من الجرائم الا ما كان يقضى به الواجب .. واجبى بصفتى عدوا للأشقياء ومدافعا عن حقوق الشعب المسكين. الحقوق التى يعجز القانون عن حمايتها والتكفل بها لما فيه من نقص وعيوب .. فهذا مدير شركة ينصب على الفقراء ويبتز مدخراتهم القليلة التى جمعوها بشق الانفس بحجة استثمارها لاجلهم ثم يختلسها أو يضيعها فى المضاربات .. ويعجز القانون عن معاقبته لان الشقى استطاع أن يجد فى نصوص القانون المطاطة ما يحميه وينقذه .. فهل تريد منى ان اترك هذا النصاب فى سلام ؟ كلا يا صديقى ؟ يجب أن استعيد الاموال التى استغلها من الجماهير المخدوعة ! وهذا موظف كبير يستغل منصبه وسيلة

للارتشاء والحصول على الهدايا .. ويقصر عنه القانون لعدم كفاية الادلة .. فهل أدعه وشأنه مستمرا فى غوايته ؟ كلا .. بل يجب ان آخذ منه الأموال التى استولى عليها بغير حق وهذا سياسى كبير أو وزير من وزراء الدولة يعبث بمصالح الدولة ارضاء لشهوته ومطامعه وتحقيقا لمصالحه الخاصة على حساب الشعب الجاهل المسكين .. فهل يمكن أن ادع هذا السياسى الدجال مستمرا فى التغرير بالجماهير .. كلا يا صديقى .. ان القديس لا يرضى لنفسه هذا الموقف !

وكان المفتش تيل يصغى الى هذا الحديث وقد اغمض عينيه نصف اغماضة كانما يوشك ان يغط فى النوم .. ورشف تمبلار من كأسه جرعة من شراب « الشيرى » ثم استرسل يقول :

— انني يا عزيزى تيل امثل فى هذه الدنيا العدالة المطلقة .. اننى احمل الى العالم رسالة العدالة الصحيحة السليمة التى لا تحفل بكبير او صغير ولا تتراجع أمام التقاليد أو عيوب القوانين .. اننى هنا لكى اتلافى عجز القانون وتقصيره . انى امثل القانون السليم الذى كان يجب ان يكون وبالاختصار انى عدو الاغنياء الأنذال ونصير الفقراء والجماهير ..

وابتسم المفتش تيل وقال فى صوته الوسنان النائم :

— يظهر يا صاحبى انك تريد ببلاغتك الفياضة أن تضمنى الى عصابتك ..

فصاح تمبلار قائلا :

— أوه . كلا .. كلا .. ان هذا لم يخطر لى على بال مطلقا .. ان انضمامك الى لا يسرنى بل على العكس يبعث فى نفسى الاسف لاننى فى هذه الحالة لن أجد امامى شرطيا سريا اتلاعب به والمس بأصبعى كرشه الضخم ..

فقال تيل وقد احمر وجهه المكتنز السمين :

— قلت لك لا تتحدث عن كرشى ..

— أوه .. انى لا أريد أن اضمك الى وانما اريد فقط ان اقنعك بانى لست شريرا الى الدرجة التى تظنها .

وفتح تيل عينيه المغمضتين وقال وقد التمعت نظراته :

— الواقع انى افهم موقفك حق الفهم واقدر وجهة نظرك .. انى اعرف انك لم ترتكب جريمة يمكن أن تغضبنى لو اننى كنت متدرجا بحسب انى اعرف أن جميع الرجال الذين سطوت عليهم وسلبتهم اموالهم كانوا يستحقون ذلك بشكل من الاشكال .. ولكنى فى الوقت ذاته اعرف انك أخطر مجرم خارج السجون .. انى من رجال البوليس ومهمتى تحتم على أن أؤدى واجبى على الوجه الاكمل ..

— وهل من اداء الواجب على الوجه الاكمل أن ترج فى السجن جائعا سرق رغيفا من الخبز يسد به جوعه .. بينما تدع طليقا مدير شركة سلب الجمهور مئات الالوف من الجنيهات لانه استطاع أن يجد فى نصوص القانون الملتوية سندا ومنفذا ! ؟

فهز مفتش البوليس السرى رأسه وقال :

— ايه .. هذه هى مهنتى .. وانت تعرف ذلك ..

فابتسم تمبلار وقال :

— نعم .. انى اعرف ذلك .. ولكنك انت ايضا تعرف أن هذا هو السبب الذى يدفعنى الى الاجرام .. انى اسرق .. واسطو . واسلب لكى اقوم بالواجب الذى اهمله القانون ..

فقال تيل فى لهجة تنطوى على التهكم :

— ولكى تحشو جيوبك بالمال !

فابتسم تمبلار وقال :

— احشو جيوبى بالمال ؟ هل تريد يا عزيزى تيل ان تقول انك لا تعرف مصير الاموال التى استولى عليها ! اتجهل انى اتبرع بها للمستشفيات والجمعيات الخيرية . او اوزعها على المخدوعين الذين سلبت منهم فى اول الامر ..

— ولكنك تحتفظ بشىء منها لنفسك .. ؟

— اننى احتفظ بعشرة فى المائة فقط .. وهذه النسبة لا مفر منها انها عبارة عن رسوم التحصيل .. لو اننى كنت محصلا لكانت عمولتى عشرة فى المائة . وهذا هو ما اعمله .. والجمهور لا يبخل على بهذا القدر الضئيل وانا اعيد اليه تسعين فى المائة مما سرقته منه الاغنياء والانذال .

وتنهد مستر تيل وقال :

— ايه .. بصفتى متفرجا يجب ان اصفق واهتف لك .. اما بصفتى من رجال البوليس فهذا شىء آخر !

فارتسمت على شفتى تمبلار ابتسامته التهكمية المعروفة

— نعم ، شىء آخر . !

ولم يحاول المفتش تيل ان يفسر هذه النقطة وان يصارح تمبلار بان هذا « الشىء الاخر » هو انه يتمنى ان يقبض عليه وان يقذف به الى اعماق السجون ..

نعم لم يجد تيل من المناسب ان يقول ذلك تمشيا مع اصول اللياقة والمجاملة لانه فى هذه اللحظة كان ضيفا على تمبلار .. وكان تمبلار نفسه هو الذى دعاه الى تناول العشاء معه . ولكنه فى الوقت ذاته لم يستطع ان ينسى ان ثمن هذا العشاء ، سيدفع حتما من الاموال التى سلبها تمبلار من الاغنياء .. ولم يستطع ان ينسى ايضا تلك المصادفات المتوالية التى اشتبك فيها مع تمبلار فخرج هو منها مدحورا مهزوما هزأة فى عيون الناس .. فعكرت عليه هذه الذكريات صفوه فاخرج من فمه قطعة اللبان الامريكى وكورها بين اصابعه ثم قذفه

بها على مرمى ذراعه حانقا ساخطا .

وانقذه من هذه الخواطر الموجعة اقتراب الجرسون من المائدة وانحناؤه فى ادب واحترام وهو يقول :

— عفوا يا سيدى .. هل انت مستر تيل ؟

فقال المفتش مجيبا :

— نعم . انى مستر تيل .

فانحنى الجرسون للمرة الثانية وقال :

— انك مطلوب على التليفون يا سيدى .

ونهض تيل واقفا وزايل المائدة متجها الى مقصورة التليفون فى خطوات بطيئة مسترخية كانما ينوى ان يرتمى على اقرب اريكة تصادفه ليستغرق فى النوم .

اما تمبلار فاشعل سيجارة وجعل يراقب تيل وهو يبتعد .

ويسجل التاريخ ان هذه الفترة كانت فى حياة تمبلار من الفترات النادرة التى يخلو فيها ذهنه من التفكير فى جريمة جديدة او مغامرة يشغل بها وقته نعم كان تمبلار فى تلك الايام هادئا يمضى وقته فى القراءة والنوم دون ان يخطر له ببال ان يعكر صفو رجال البوليس او ان يوقظ كبيرهم مستر تيل من نومه الهنىء العميق ليضع امامه معضلة من معضلاته يطلب اليه حلها ..

وفى خلال مثل هذه الهدنة لا يجد المفتش تيل مانعا من ان يلبى دعوة القديس اذا دعاه الى تناول العشاء . فيمضيان الوقت فى احاديث شتى ممتعة . فاذا حانت ساعة الانصراف شعر كل منهما بالاسف وبانهما ليسا خصمين لدودين وانهما على العكس من ذلك صديقان ودودان .

ولكن تمبلار كان يعرف ان المفتش تيل لن يغادره هذه الليلة والاسف ملء قلبه كما هى العادة . وانما سيتركه ساخطا ناقما بسبب الحديث التليفونى الذى كان وشيكا بان

يجرى فى هذه اللحظة .

كان تمبلار يعرف فحوى الحديث التليفونى المنتظر .. أما تيل فلم يكن يعرف .. ولذلك تناول المفتش السماعة وقال فى صوته الذى كان لا يزال خاملا كسولا :

— أنا المفتش تيل ..

وحملت اليه الأسلاك صوت مساعده فى ادارة سكتلانديارد .

ونطق المساعد بجملة واحدة ما لبث أن تلاها بأخرى .. ثم بثالثة .. ثم برابعة ..

وكلما ازداد المساعد استرسالا فى حديثه ازداد تيل تنبها من خموله وفتحا لفمه فلم تكد تمضى لحظات حتى كان تيل واقفا أمام التليفون وفمه مفتوح كأنه أبله معتوه .

ولما انتهى المساعد من حديثه قال المفتش تيل فى صوت هادىء :

— حسنا . سنتصل بك فيما بعد .

ثم رد السماعة الى مكانها وخرج من مقصورة التليفون ..

وشق تيل طريقه بين الموائد المصفوفة المتراصة .. وكان يعلم أن سيمون تمبلار يراقبه ويرصد حركاته . كان يعلم أن هاتين العينين الزرقاوين ذات النظرات التهكمية اللاذعة تتفرس فى وجهه وهو يقترب من المائدة .

وتذكر عند هذا مرات أخرى سابقة جابهته فيها مثل هذه النظرات الهازئة الحافلة بالتحدى والرغبة فى النضال .. وساءته هذه الذكريات وأهاجت أعصابه وجعلته يحتدم غيظا .. ولكنه بذل مجهودا جبارا حتى تغلب على غضبه فلما بلغ المائدة كان هادئا باردا كأنه قطعة من الثلج .

ولما استقر تيل على مقعده قال يخاطب تمبلار :

— شكرا لك يا تمبلار على هذا العشاء .

فنفث تمبلار من فمه سحابة كثيفة من الدخان وقال :

— الحق أننى استمتعت أنا أيضا بهذه السهرة . انها بمثابة تعويض من تلك الأيام التى لا نجتمع فيها الا لنتصال أو نزال ..

ثم تنهد تمبلار وأردف قائلا :

— طالما تمنيت يا عزيزى تيل لو أننا كنا من الأصدقاء الأوفياء . ولكننى بكل أسف لا أجد علاجا لهذه النزوة « البوليسية » التى تستولى عليك فى بعض الأحيان فلو أنك تحررت من هذه النزوة لكنا الآن من أوفى الأصدقاء ..

— ويا ليتك أنت تتحرر من نزوة « اللصوصية » .

فضحك تمبلار وقال :

— ان اللصوصية يا عزيزى تيل داء لا شفاء منه ما دام فى الدنيا أغنياء أنذال .

وساد الصمت برهة ثم قال المفتش تيل فجأة :

— ومما يؤسف له أنك نسيت أن تدعو صاحبك الى مشاطرتنا العشاء .

فرفع تمبلار حاجبيه مستفسرا وقال :

— أى صاحب تقصد ؟

— رجل العصابات الأمريكى الذى رأيته كثيرا فى صحبتك فى هذه الأيام .. ما اسمه ؟

— هل تقصد مورى بونتباتز ؟! لقد ذهب بنفوج على احدى حفلات الملاكمة . فقد قابل صديقا له من الملاكمين رافقه اليها ..

فقال تيل وهو يتشدق بقطعة من اللبان الأمريكى :

— حقا ! أظنه لم يذهب وحده الى الحفلة بالطبع ؟

— بل ذهب مع هذا الملاكم ونفر من الأصدقاء .

واحنى نيل رأسه ولم يتكلم . ولكن كان ظاهرا على وجهه ان هناك ثورة عنيفة تتدفق فى عروقه .. ثورة بدأت حين سمع اول جملة نطق بها مساعده فى التليفون .

ولم تكن عوارض هذه الثورة المكتومة لتخفى عن سيمون تمبلار ..

وقال نيل فى كلمات بطيئة :

— ولماذا لم تدع صديقتك باتريشيا هولم ؟ ماذا جرى لها ؟ .

— لا شىء اكثر من انها ذهبت الى سهرة راقصة . ولذلك كان مستحيلا ان تصحبنا ولكنها بخير . فكن مطمئنا .

فهز نيل رأسه وقال وهو يشدق بقطعة اللبان الامريكى :

— واظنها ستمضى سهرة ممتعة .

فرشف تمبلار بضع جرعات من السكنى التى امامه وقال :

— انى اعتقد انكثيرين من الشبان يتفجرون هياما بها حين يرونها .

— ولكن على اية حال سيبقى على قيد الحياة من المعجبين عدد يكفى لكى يقسم بانها ظلت ترقص او تجلس معهم منذ وصولها حتى منتصف الليل ؟ اليس كذلك ؟

فرفع تمبلار رأسه وجعل يتفرس فى استغراب فى وجه المفتش نيل وكان واضحا ان تغييرا جديدا طرأ عليه مذ رجع من مقصورة التليفون وكانت نبرات صوته وهو يلقى هذا السؤال الاخير تشىء بالصلابة والخشونة .

وحرك تمبلار اصبعه فى وجه نيل وقال فى لهجة الام وهى تخاطب طفلها العنيد الخبيث :

— نيل خبرنى .. ماذا هناك ؟ ان فى دماغك شيئا ؟

ومرت لحظات تسارعت فيها انفاس المفتش نيل واحمر وجهه كانما يوشك ان يختنق ولكنه ما لبث ان استرد ثباته وقال فى صوت اجش :

— ان فى دماغى ليس شيئا واحدا وانما اشياء كثيرة وانت تعرف ما عندى واظنك كنت تسخر منى وتهزأ منذ اللحظة التى جلسنا فيها معا الى المائدة ! اظنك كنت تفكر فى انه لا حدود لما يمكنك ان تجعلنى (ابلعه) واغضى عنه ، وانا الجانى على نفسى ! انا الذى قدمت اليك هذا الحبل لتشنقنى به ! ولكن ما الذى يجعلك تظن ان هذا الحبل يصلح اداة لشنقى ولا يصلح اداة لشنقك انت !

فقال تمبلار فى لهجة تدل على الخبث والمكر :

— ماذا دهاك يا عزيزى نيل ؟ ترى هل افرطت فى احتساء الخمر حتى لم تعد تعى ما تقول انى ارى كرشك ممتلئا مما يدلّ على ان ..

ولكن المفتش نيل صاح به مقاطعا :

— قلت لك دع كرشى وشانه .. انى انتظر منك ان تتكلم عن شىء آخر ولكن يجب ان اذكرك من اول الأمر انه لن يهدأ لى بال الا اذا هدمت دليل النفى هذا ولو امضيت فى ذلك بقية عمرى . فهل فهمت ؟

فرفع تمبلار حاجبيه وقال فى استغراب :

— دليل النفى ؟ ماذا تقصد ؟

— اقصد ما قلت .

— ولكنى لا اعرف عما تتحدث !

— حقا ؟.

وكان نيل ينوى ان ينطق هذه الكلمة فى لهجة تهكمية ساخرة ولكنها انطلقت من فمه بقوة كانها سدادة تطير عن فوهة زجاجة من الخمر . واسترسل نيل يقول :

— انى اتكلم عن دليل النفى الذى دبرته انت والذى مكن هوبى بوتيانز وباتريشيا هولم وباقى طغمتك من الاشقياء من ان يفعلوا فى هذا المساء ما فعلوا انى اتكلم من دليـل النفى الذى خدعتنى به وجعلتنى اهيئه لك انى اتكلم عن ..

ولكن تمبلار قال مقاطعا :

— بالله عليك قل لى عم تتكلم ؟

تحملق تيل فى سيمون تمبلار وصاح قائلا :

— الا زلت حتى الان لا تدرى عما اتكلم ؟

واخـذ نفســا طويلا ثم صـاح بصوت اجتمعت فى نبراته الحانقة المرتعدة هزائم السنوات الخمس الماضية وقال :

— انك تعتقد يا صاحبى انك حاذق ماكر .. وانك داهية اريب لانك اخترت لدعوتى لتناول العشاء معك هـذه الليلة بالذات وابقيتنى فى رفقتك من الساعة السابعة مساء حتى الان وانت تعلم ان رجال البوليس قد عثروا فى طريق برايتون منذ ساعة واحدة على جثة رجل رشقت فيها البطاقة المعهودة التى تحمل اسمك .. !

وخبط المفتش تيل المائدة بقبضة يده وقال فى حنق :

— هذا هو دليل النفى الذى جعلتنى اهيئه لك حتى اشهد بانك كنت معى اثناء ارتـكاب الجريمة .. ولـكن لا .. لا يا تمبلار .. لقد اخطأت فى هذه المرة وفاتك حسن التقدير .. انى لن اهدأ حتى احطم هذا الدليل وامزقه تمزيقا .. لابد ان اثبت انك انت القاتل !

الفصـــل الثانى

لبث سيمون تمبلار يتفرس فى وجه المفتش تيل وهو يصغى الى هذه المحاضرة الطويلة العريضة .

وكان تمبلار فى الواقع مسرورا مبتهجا . فهذه اول مرة يتهم فيها بجريمة لم يرتكبها ويجد فى الوقت ذاته دليل نفى حاضرا مجهزا وقائما بالباب فى خدمته دون ان يسعى هو الى تدبيره . فكانت هذه بلا شك ساعة من ساعات العمر التى لا تنسى .

وقال تمبلار فى صوت حالم :

— اعد على هذا الكلام مرة اخرى ..

فصـــاح رجل البوليس السرى وهو يقرض على اسنانه غضبا :

— لن اعيد عليك شيئا . انك سمعتنى فلن اتكلم مرة اخرى هذا هو دورك فتكلم انت .. انى اصغى اليك . انى احب دائما ان اسمع قصصك الخرافية ! وليت شعرى ما هى خرافتك فى هذه المرة .. هل انتحر الرجل ووضع بطاقتك على صدره ولعا منه بالمزاح .. ! هـل الذى قتله هو سلطان تركيا او امبراطور روسـيا ثم استعمل بطاقتك بدلا من بطاقته التى نسيها فى البيت . ! تكلم فانى سـاصغى اليك مهما بلغت قصتك من الهذيان والتخريف .. ؟

ومن الانصاف ان نقول ان المفتش تيل اعتاد دائما ان يكون متزن الاعصاب مالكا لحركاته وسكناته فلا يفقد وعيه فى النضال الذى يجرى بينه وبين المجرمين . ولكنه اذا كان الامر متعلقا بسيمون تمبلار استحال رجلا اخر اذ لا يلبث ان يفقد هدوءه وثباته امام نظرات تمبلار الباردة الحافلة بالسـخرية اللاذعة .. فتراه ينقلب فجأة صاخبا لاعنا تتدفق الكلمات من فمه كالسيل الجارف دون ان يكون لها اى معنى .

وموقفه من هذه الناحية يشبه بلا شك موقف الرجل الذى شوى على النار عدة مرات حين يجد نفسه فجأة امام نار متأججة .. ؟

ولهذا كان المفتش تيل معذورا لان سيمون تمبلار لم يكن

الا هذه النار المتأججة .. ؟

وقال تمبلار فى لطف :

— انتظر لحظة واحدة يا عزيزى تيل .. انى لم اقتل هذا الرجل ..

فقال تيل متهكما :

— انى اعرف انك لم تقتله .. ! لقد كنت طول الوقت جالسا تتحدث معى . لقد قتل الرجل من تلقاء نفسه .. لقد اخرج بطاقتك من جيبه فلم يكد ينظر فيها حتى فاضت انفاسه! اليس هذا هو ما تريد ان تقول .. ؟

فقال تمبلار فى بطء وهو يبتسم :

— لقد خمنت ما فى راسى .. وهذه اول مرة يا عزيزى تيل اشهد لك فيها بالقدرة على الاستنتاج .. ولكنك لو سألتنى عن رايى لقلت لك ان هناك مجرما يحاول ان يلفق ضدى هذه التهمة ..

— حقا . ؟ اهذا هو ما تنوى ان تقوله لى اذا سألتك رايك .. !

ولكنى لن اسالك رايك لانى اعرف ان هذا المجرم ليس الا ..

فأكمل تمبلار الجملة قائلا :

— ليس الا سيمون تمبلار .

ثم اطفأ سيجارته فى المنفضة ووضع على المائدة ثمن الطعام الذى تناوله ثم قال :

— انى رهن اشارتك يا عزيزى تيل لقد تدمت ى الجريمة وفى الوقت نفسه قدمت لى دليل النفى الذى يخرجنى منها . فشكرا لك على هذا الكرم .. يظهر انك تتلهف الى ان تقبض على ولو مرة واحدة ولذلك هيأت لى دليل النفى حتى تطمئن الى انى لن افلت منك ما دام دليل

النفى حاضرا . وبذلك ترضى غرورك اذا ما ذكرت الصحافة انك قبضت على .. فهيا استمر فى لعبتك يا عزيزى . فهل اعتبر نفسى مقبوضا على .. ؟

فقطب تيل جبينه وقال :

— سأقبض عليك عندما اجمع فى يدى الادلة الكافية .. وسيكون ذلك قريبا جدا . بل اقرب مما تظن ..

فابتسم تمبلار وهز راسه قائلا :

— لقد سبق ان سمعتك تنطق بهذه الجملة الخالدة مئات المرات دون ان تنفذها ولو مرة واحدة . ! فلو ان المؤرخين سئلوا ان يذكروا اكذب رجل فى التاريخ لاجتمعت كلمتهم على انه المفتش تيل حين يقول : « سأقبض على سيمون تمبلار » فهيا بالله عليك « بيض » وجهك ولو مرة واحدة واقبض على .. او دعنى على الاقل اقبض على نفسى بنفسى بالنيابة عنك .. !

فنهض المفتش تيل واقفا وقال وهو يحتدم غيظا :

— انى ذاهب الى مكان الجريمة لكى اجمع الادلة التى تمكننى من القبض عليك ..

فقال تمبلار :

— اذن .. دعنى اصحبك لكى اساعدك فى جمعها ! انى فى الواقع متلهف الى ان اجعلك تقبض على ولو مرة واحدة ..

وبعد لحظات غادر الاثنان المطعم متجهين الى سيارة سيمون تمبلار وقال تمبلار وهو يجلس الى عجلة القيادة :

— ومن اين جاءتك انباء هذا الحادث ؟

فقال تيل فى اقتضاب :

— هورلى .

ثم لم يملك ان اردف قائلا :

— وانت تعرف هذا طبعا .. لم تسألنى ؟

ولم يقل تمبلار شيئا وانما لزم الصمت .

وكان المفتش تيل يعتقد أن سيمون تمبلار خليق بأن يرتكب كل جريمة ممكنة في هذه الدنيا . وانه في الوقت الذى يكون فيه غارقا في الجريمة الى الاذقان تراه وعلى وجهه ابتسامة لطيفة بريئة كابتسامة الطفل الساذج الطاهر الضمير .

وكان تيل يعلم ان تمبلار لا يكون اشد اغراقا في الجريمة الا اذا ارتسمت على شفتيه هذه الابتسامة البريئة الطاهرة .

ولكن هذه الابتسامة كانت تنقصه الآن .

ولم يفطن المفتش تيل الى ذلك وهما في المطعم .. ثم يفطن اليه وهما في طريقهما الى السيارة . وانما فطن الى الامر حين انطلقت بهما السيارة وضربت وجنانه هبات الهواء البارد . فسرى الشك الى صدره وقال يخاطب نفسه :

ـ الا يجوز ان يكون تمبلار بريئا من هذه الجريمة ؟

وتذكر عند هذا انه ليس من عادة تمبلار ان يسفك دما .

اما تمبلار فقد اطلق السيارة بسرعة سبعين ميلا في الساعة وهو يفكر في هذا الرجل الجريء الذى ارتكب تلك الجريمة ثم تجاسر فعزاها الى تمبلار بأن وضع بطاقته عليها .

حقيقة ان هناك كثيرين ينقمون على القديس لانه فضحهم وهتك سترهم وعرض على الانظار مساوئهم ونذالتهم ...

وحقيقة ان هناك كثيرين يحقدون عليه لانه سلبهم الاموال التى ابتزوها من الجمهور بالخديعة او الظلم . ولكنه لم يكن يتصور ان يكون بين هؤلاء من يجرؤ على ان يلفق ضده هذه التهمة الكاذبة .

ولهذا كان متلهفا الى ان يعرف هذا الرجل الجريء الجسور .

وكانت تلك الومضات التى تشع من عينى تمبلار وهو يفكر

في هذا الرجل تدل على انه سيكون له معه شأن .. واى شأن !

وبعد خمس وثلاثين دقيقة وقفت بهما السيارة امام مخفر بوليس هورلى .

ونزل المفتش تيل من السيارة ودخل الى المخفر وخلفه سيمون تمبلار .

وكان الضابط ورجاله في احدى الغرف يتداولون فيما حدث وهم يحتسون اقداح القهوة في كسل وفراغ .

وكانوا ثلاثة رجال : احدهم مفتش القسم والثانى الطبيب الشرعى اما الثالث فمن كونستابلات الداورية الطوافة ذات الموتوسكلات .

وقدم تيل نفسه الى مفتش القسم الذى استقبله دون اى ترحيب اذ جرت العادة بأن يمتعض مفتشو الاقسام من تدخل رجال سكوتلانديارد في الحوادث التى تقع في دوائرهم .

وقال المفتش تيل :

ـ لقد تمكنت ان احضر في الحال .

فالتفت مفتش القسم الى الكونستابل وقال :

ـ حدثه بما تعرف .

ووضع الكونستابل قدح القهوة على حافة المكتب وقال :

ـ ان ما اعرفه ليس بالشيء الكثير . حين كنت في طريقى الى البيت لمحت سيارة واقفة على مسافة ميلين من هنا على طريق بالكومب ورأيت الى جوارها رجلين يحملان ما خيل الى انه جثة انسان فسألتهما عن الامر فذكرا لى انهما رأياها على قارعة الطريق فظنا ان سيارة صدمت الرجل فتركته ملقى مكانه وفرت هاربة .. ولكنى حين فحصت الجثة وجدت صاحبها مصابا بطلق نارى . فتعاونت مع الرجلين على نقل الجثة الى سيارتهما وحضرنا الى المخفر على الاثر .

فقال المفتش تيل :
— ومتى كان ذلك ؟
— حوالى منتصف الحادية عشرة حين رأيت الجثة للمرة الاولى ولكننا وصلنا الى المخفر فى الساعة الحادية عشرة الا ربع بالضبط .
— وكيف كانت اصابة الرجل ؟
وكان الطبيب هو الذى تولى الاجابة على هذا السؤال بقوله :
— لقد اصابته الرصاصة فى مؤخرة الراس وقد اطلقت عليه من مكان قريب . ولا شك ان الموت حدث فى الحال .
واخرج تيل من فمه قطعة اللبان الامريكى وكورها بين اصابعه ثم ردها الى فمه ثانية واخذ يمضغها بشدة .
ثم قال :
— لقد بلغنى انكم وجدتم بطاقة سيمون تمبلار مرشوقة بالجثة فمتى كان ذلك .. ؟
فاخذ مفتش القسم يفحص الاوراق الموضوعة على مكتبه ثم قال وهو ينظر فى احداها :
— لم تكن البطاقة مرشوقة على الجثة وانما عثرنا عليها فى جيوب القتيل ونحن نفتشها . لقد كانت فى جيب جاكتته الخارجى .
وناول مفتش القسم الى تيل البطاقة المنوه عنها . وكانت عبارة عن ورقة منزوعة من مفكرة رخيصة وقد كتب عليها اسم سيمون تمبلار بخط كبير .
وجعل المفتش تيل يتأمل الاسم ثم التفت فجأة الى تمبلار ومد اليه يده بالبطاقة وهو يقول متهكما :
— واظنك لم تكتب هذا ؟
وساد على الحاضرين وجوم غريب واخذوا يتحدثون فى

سيمون تمبلار وقد بدت فى نظراتهم امارات الدهشة . فقد ظنوا حين رأوا المفتش تيل يدخل ومعه تمبلار انه أحد مساعديه . اذ ان تيل لم يحفل بأن يقدمه اليهم فلما سمعوه يسأله عن البطاقة لاحت لهم الحقيقة واشتد استغرابهم .
واراد تيل ان يشبع فضولهم فقال يخاطبهم فى غلظة :
— هذا هو سيمون تمبلار .
وعلى الرغم من انهم كانوا يتوقعون منه هذا القول الا انهم بوغتوا للمرة الثانية وتضاعفت دهشتهم .
ونقل المفتش تيل من فمه قطعة اللبان الامريكى وقال مخيبا ظنونهم :
— كلا . انى لم اقبض عليه .. لقد كان معى طول هذا المساء ولم يفارقنى لحظة واحدة منذ الساعة السابعة حتى الان .
وازدرد الطبيب الشرعى جرعة ساخنة من قدح القهوة دفعة واحدة ثم مسح شفتيه بمنديله وقال وهو ينظر الى رجل سكتلانديارد فى بلاهة :
— ولكن هذا مستحيل لقد كانت الجثة لا تزال دافئة حين فحصتها ومن المؤكد انه لم تمض على الوفاة اكثر من ثلاث ساعات باى حال من الاحوال .
فقال البوليس السرى فى انفعال ممزوج بالغضب :
— لقد كنت أتوقع هذا . وهذا كل ما كان منتظرا لكى يصبح دليل النفى مهيئا جاهزا .
ووضع تمبلار البطاقة على المكتب وفى نفسه تتضارب مشاعر مختلفة انه لم يكتب هذه البطاقة . ولكن الخط يشبه خطه بدرجة قد تخدع غير الخبير .
ولقد خدع المفتش تيل بالبطاقة كما خدع رجال البوليس الاخرون لما رأوها حتى تبادر الى ذهنهم ان سيمون تمبلار

هو القاتل على الرغم من يقينهم بأن تمبلار لا يلجأ الى سفك الدماء الا لحاجة قصوى قاهرة .

وهذه هي الغاية التي رمى اليها القاتل الحقيقي من وضع بطاقة تمبلار في جيب القتيل .. لقد اراد ان يصرف عن نفسه الانظار ليحول الريب الى تمبلار . ولقد نجح في هذا وتحققت الغاية التي يرمي اليها .

ولكن الى متى يدوم هذا النجاح ؟

لقد اعتزم تمبلار ان يبذل كل ما في وسعه حتى يكتشف هذا القاتل الاثيم الذي يسيء الى سمعته بأن يعزو اليه جريمة قتل لم يرتكبها .

وقال سيمون تمبلار :

ــ ومن هو هذا القتيل ؟

ولم يجب مفتش القسم على هذا السؤال الا بعد ان اومأ اليه تبل بأن يتكلم فجعل يبحث في الاوراق المكدسة امامه على المكتب ثم قال :

ــ انه يحمل جواز سفر اسبانى وتنبيء الدلائل بأنه لم يسرق منه شيء . اما اسمه فمكتوب هنا .. انه يدعى اتريك .. مانويل اتريك .. عمره ثلاثون سنة ومحل اقامته مدريد .

ــ وما مهنته ؟

نظر المفتش مرة اخرى في جواز السفر ثم قال مجيبا :

ــ طيار .

فاخرج تمبلار علبة سجائره من جيبه واخذ ينظر الى البطاقة مرة اخرى .. وكان ظاهرا ان في الخط شيئا من التموج الذي يبدو كأنه نتيجة اهتزاز .

وقال تمبلار متسائلا :

ــ ومن هما الرجلان اللذان عثرا على الجثة وهي ملقاة على قارعة الطريق ؟

وتردد مفتش القسم للمرة الثانية اولا ان اسعفته نيلة بنظرة من عينيه . وقطب مفتش القسم جبينه اذ لم يكن راضيا عن الطريقة التي يجري بها التحقيق في هذه القضية . فلو ان الامر كان موكولا اليه لامر في الحال بالقاء تمبلار في السجن بدل ان يسمح له بأن يجلس على هذا المقعد ويستجوب رجال البوليس كأنه رئيسهم الاعلى .

ولهذا مد يده في حركة امتعاض ظاهرة والتقط احدى الاوراق الموضوعة على مكتبه ونظر فيها ثم قال في شيء من التأفف :

ــ هذان الرجلان هما : سير هوجو رينوى المقيم بفيللا مارش في بتفيلد بالقرب من نولكستون . اما الثاني فهو سائقه جون كيلارد .

وقال سيمون تمبلار متسائلا :

ــ وانتم لم تحاول استبقاءهما ؟

ورجع مفتش القسم بمقعده الى الوراء في حركة عنيفة وقال في لهجة تدل على التذمر :

ــ اتظن انه كان ينبغي على ان اقبض عليهما ؟

وانبرى الطبيب يقول في صوت تنبيء نبراته بالتهكم الممزوج بالعتاب :

ــ ان سير هوجو رينوى رجل محترم . فانه من كبار موظفي وزارة المالية .

فقال تمبلار في صوت حالم حافل بالهزؤ والزراية :

ــ حقا ؟ واظنه كان يلبس قبعة عالية سوداء . !

ولكن مفتش القسم لم يفطن الى ان هذا السؤال القى اليه على سبيل التهكم . فقال مجيبا :

ــ كلا .. انه لم يكن يلبس قبعة عالية سوداء .

وابتسم سيمون تمبلار .

وكانت ابتسامته من ذلك الطراز الذى جعل المفتش تيل فى مرات سابقة قلقا مذعجا .

وقد افلحت فى هذه المرة ايضا فى اثارة قلقه وانزعاجه. فتدفقت فى عروقه تلك الدماء التى كانت قد اوشكت ان تودا وتضرج وجهه المكتنز السمين احمرارا .

واسترسل سيمون تمبلار يقول فى صوته الحالم غير المكترث :

— اسمع يا عزيزى تيل . يظهر ان التحقيق تقدم بضع خطوات . لقد قبضت على نفسى بنفسى وحضرت معك الى المخفر . ولا زلت على استعداد لكى اؤدى عنك العمل المطلوب منك انت .. فهل تريد منى ان اوجه التهمة الى نفسى ، وان افتش نفسى . وان احبس نفسى فى السجن ؟ خبرنى ماذا تريد منى فانى رهن اشارتك ؟

فقال المفتش تيل فى غيظ مكتوم :

— سافكر فى الامر ثم ادلى اليك برايى .

فقال تمبلار ينصحه :

— اذن . دعنى اشير عليك بالتريض فى الهواء الطلق بضعة ايام حتى تجلو الراحة ذهنك فتتمكن من التفكير . !

والقى بعقب سيجارته على الارض ووطئه بقدمه ثم ارسل الى المفتش تيل تلك النظرة غير المكترثة الحافلة بالتحدى والدعوة الى النضال وقال فى صوت رنان :

— انى اكرر عليك القول مرة اخرى بانى لا اعرف شيئا عن هذا المدعو مانويل اتريك الا ما سمعته منكم هنا .. طبعا انى لا اتوقع منك ان تصدقنى لان الله لم يهبك من الذكاء ما تستطيع به ان تفهمنى . ولكن تلك هى الحقيقة . ان ضميرى نظيف كما كان قميصك قبل ان ترتديه .

فصاح المفتش تيل يقول :

— انك كذاب .

فاجابه تمبلار فى هدوء مثير للاعصاب :

— يجوز . ! فانت ادرى بقميصك . ! فهل تريد ان تقول انه كان قذرا بهذا الشكل حتى قبل ان ترتديه . !

ثم التمعت عيناه وقال فى لهجة قاسية :

— ومع ذلك فهذا ما انت خليق بان تعرفه . انك لست بوليسا سريا . ! بل انت رجل لا تصلح الا لان تقضى حياتك فى بيتك تربى الدجاج وتطعم الارانب . ! اذا وجدت نفسك امام قضية معقدة غامضة فشعارك الوحيد ان تلصقها بسيمون تمبلار . ! انك لا تقوى على التفكير . ! والحل الوحيد لكل جريمة ، لا حل لها عندك ، هو ان تصيح بملء صوتك . ان تمبلار هو الجانى . ! ولكننى فى هذه المرة يا عزيزى تيل سانشغل بالنيابة عنك . ! ساقبض على القاتل الحقيقى واقدمه لك لقمة سائغة . ! انى لا يمكن ان اصفح عن رجل يستعمل اسمى فى جرائمه الوضيعة غير المجدية . !

وابتسم تمبلار وقال مسترسلا :

— وعندما اقدم اليك القاتل سيكون هذا درسا لك يعلمك كيف تحترم كلمتى وكيف تصدق ما اقول . ! وعند ذلك ستجثو امامى على الارض وتاتى الى مستغفرا زاحفا على هذا الكرش الضخم البارز . !

ومد تمبلار اصبعه لينخس المفتش تيل فى كرشه الضخم ولكن تيل وثب عن مقعده وتراجع الى الوراء وصاح يقول فى لهجة عصبية :

— كلا .. لا تنخس كرشى .

ودار تمبلار على عقبيه ثم غادر المخفر .

الفصل الثالث

كان سيمون تمبلار فى داره منهمكا فى تفحص خريطة كبيرة نشرها على طاولة امامه وهو يجيل فيها عينيه مفكرا . وعلى مقربة منه جلست صديقته باتريشيا هولم وصاحبه الامريكى هوبى يونياتز .

وكان تمبلار يبحث فى الخريطة على فيللا مارش التى يقيم فيها سير هوجو رينوى الذى عثر مع سائقه على جثة القتيل .

كانت الفيللا قائمة وسط ضيعة لا تقل مساحتها عن ثلاثين فدانا واقعة بين قرية بتفيلد وبحر المانش . ويحدها من ناحية الجنوب الصخور الناتئة المشرفة على البحر . اما من ناحية الشمال الغربى فيحدها طريق ضيق يمتد بين بتفيلد والطريق العمومى الذى يفضى الى ضواحى فولكستون .

وتناول تمبلار جرعة من شراب « الشيرى » رشفها فى بطء وهو لا يزال غارقا فى خواطره . لقد كان مهتما بصاحب هذه الفيللا ويريد ان يعرف عنه اكثر ما يستطيع . وتمبلار رجل عملى يعتقد ان اصدق وسيلة تؤدى بك الى ان تعرف انسانا على حقيقته انما تنحصر فى شىء واحد : هو ان تذهب الى داره تتقابله وجها لوجه او تفتش ادراجه وتتفحص محتويات مكتبه خلسة .

وكانت هذه هى الطريقة التى انتوى تمبلار ان يتبعها .

والتفتت اليه باتريشيا هولم وقالت تسأله :

ــ وما الذى يجعلك تظن ان لرينوى ضلعا فى هذه الجريمة ؟!

فكان جواب تمبلار ان ابتسم قائلا :

ــ قبعته العالية وكونه رجلا محترما !

ثم اردف يقول :

ــ انك تعرفين يا عزيزتى انى لست ساذجا كرجال البوليس ! ان المفتش تيل يعتقد ان القبعة العالية ضمان كاف لاخلاق الرجال . وانها الدليل القاطع على انه شخص محترم لا يمكن ان يتجنى الى الجريمة ! اما انا فعلى النقيض من ذلك ولا احفل بالزى ولا اقيم له وزنا . وقد تكون القبعة العالية المحترمة فى نظرى دليلا على ان الرجل دجال مراء .. فارتداء الانسان لثياب الرهبان لا يمنعه من ان يرتكب اية جريمة . ولقد ارتعد المفتش تيل امام القبعة العالية التى يلبسها سير هوجو رينوى . اما انا فلم ارتعد بل ان هذه القبعة هى التى جعلتنى افكر وافكر .

فقالت باتريشيا :

ــ وفيم فكرت اذن ؟

فهز تمبلار رأسه وقال :

ــ لقد فكرت فى ان بالخط المكتوب به اسمى شيئا من التعرج دلالة على ان الذى كتبه كان يهتز . وبطبيعة الحال لا يمكن ان يهتز بهذا الشكل الا اذا كان راكبا سيارة .. وقد كان سير هوجو رينوى راكبا سيارته ! قد يكون هذا حقيقة فرضا بعيد الاحتمال ولكنه الفرض الوحيد الذى خطر على بالى . فان الجريمة كما ترين غامضة وليس فيها الا هذا الاثر الوحيد فلا يمكننى طبعا ان اتخلى عن متابعته ولو كان فى الامر قبعة عالية .

كان هوبى يونياتز يصغى الى هذا الحديث ولكنه لم يفهم منهم شيئا لانه رجل لم يخلق للاستنتاج والقياس .. لقد عاش فى امريكا طول حياته بيده ومسدسه .. لا بدماغه وتفكيره .. انه رجل جبار من رجال العصابات يطلق النار دون رحمة ولكنه لا يستطيع ان يفكر مثقال ذرة ؛ انه اشبه بالانسان الميكانيكى : يتحرك ويعمل دون ان يفهم او يفكر .

ولكن الشيء الوحيد الذي استطاع ان ينفذ الى دماغــه المصفحة هو ان زعيمه سيمون تمبلار مقدم على مغـامرة جديدة ولذلك قال يخاطبه :

— انى سارافقك يا زعيمى .

فقال تمبلار يسأله :

— وهل يلائمك هذا العمل ؟

فقال هوبى يونياتز مقرا فى صراحة :

— لا ادري ! ولــكن ما هى الضرورة التى تدعـونا الى ارتداء هذا الزى ؟

تحملقت فيه باتريشيا هولم فى دهشة وقالت :

— اى زى تقصـــد .

فكان جواب هوبى يونياتز :

— القبعة العالية المحترمة .. الم يقل الزعيم انه لابد من ارتدائها فى هذه المغامرة ؟

فاستلقى تمبلار على قفاه ضاحكا وقال :

— يا عزيزى هوبى . هذه اول مرة اراك فيها تفهم شيئا .. ولكنك يكل اسف قد فهمته خطا !

فظهر الاســتغراب على وجه رجل العصابات الامريكى وقال :

— لقد ظننتك تقول انه لابد من لبس القبعة العالية .. اذن هل قصدت ان تقول انه لابد ان نخلعها ؟

فابتسم تمبلار وقال :

— بل قصدت ان اقول انك اكبر غبى فى هذه الدنيا !

وبعد ست ساعات وقفت سيارة تمبلار على مقـربة من غيلا مارتن عند حدها الشمالى الغربى المتـاخم للطـريق الضيق الذى يصل بين قرية بنفيلد والطريق العمومى .

واستصحب تمبلار معه هوبى يونايتز لا لانه كان فى حاجة

[illegible]

وهبط تمبلار من الســيارة ونزع العجلة الاضافية المثبتـة الى جوارها وفتح صندوق الادوات بينما كان هوبى يحملق فيه دهشا مذهولا .

وقال تمبلار يخاطب صاحبه الامريكى :

— هذه هى مهمتك .. انك ســتكون سائق سيارة اصيبت مركبته بعطب فانفجرت احدى عجلاتها فانبك فى تغييرها .

فازداد هوبى يونياتز حملقة فى تمبلار وقال متسـائلا :

— وهل ابدال العجلة جزء من السرقة التى سنقوم بها ؟

— طبعا .. بل انها اهم جزء فى السرقة . فاننا ان تركنا السيارة هنا على قارعة الطريق ودخلنا البيت واتفق ان مر من هذه الجهة احد رجال البوليس . فما عساه ان يقول اذا راى السيارة فى مكانها ولا احد فيها ؟ الا يثير هذا شــكوكه وريبتـــه ؟

فتناول هوبى جرعة من زجاجة الخمر الصغيرة التى كان يحملها فى جيبه ثم احتى راسه وقال :

— طبعا .. ان هذا يثير شكوكه .. لقد فهمت ما تعنيه ايها الزعيم انك تريد منى اذا جاء احد رجال البوليس وانت فى الداخل ان ازهق انفاســه . اليس كذلك ؟

فقال تمبلار وقد نفد صبره :

— كلا . انى لا اريد منك ان تزهق انفاس احد . انـنا لسنا هنا فى امريكا . انهم فى هذه البلاد لن يسمحوا لك بان تقتل احدا من رجال الشرطة او من غيرهم . ان كل ما اريده منك هو ان تتظاهر اذا رأيت احد رجال الشرطة بانك منهمك فى ابدال العجلة المعطوبة حتى يعتقد انك ما وقفت بالسيارة

فى هذه المنطقة وفى مثل هذه الساعة من الليل الا لكى تبدل المحلة . واذا تحدثت اليك تحدثه فى رقة عن الزوجة المسكينة التى تنتظر عودة رجلها الى البيت بفروغ صبر واضرب على هذه النغمة حتى تحثه على أن يتركك لكى يمضى الى بيته . ولكن اياك ان تزهق القاسية .

فقال هوبى فى خشوع :

ــ لقد فهمت أيها الرئيس .. وسأغير المحلة المطلوبة .

فقال تمبلار وهو يبتعد :

ــ فليعنك الله . !

ثم أردف فى صوت خافت :

ــ انك تكون مدهشا ان كنت قد فهمت حقا ما اعنيه . !

ولم يكن فى وسع تمبلار ان يتسلل الى داخل الضيعة الا اذا تخطى هذا الجدار القائم امامه والذى يبلغ فى ارتفاعه ثمانية أقدام وينتهى بقضبان من الحديد مدببة الأطراف كانها الحراب الماضية وقد شدت اليها الاسلاك الشائكة .

ولو أن رجلا غير تمبلار لاتعدته هذه العقبة ولردته عن القيام بما ينتوى . اما تمبلار فلم يكن من هذا الطراز . بل ان تكاثر العقبات واجتماعها كان خليقا بأن يشحذ همته ويضاعف من اقدامه .

وجال تمبلار بنظره فيما حوله فرأى شجرة باسقة نامية الغصون تتعالى فروعها فوق السياج فتسلقها فى رشاقة على رغم الظلام السائد وان هى الا لحظات حتى كان يزحف على بطنه فوق غصن كبير يمتد فوق الجدار ويتجاوزه الى داخل الضيعة . ثم وثب منه فى خفة الى غصن آخر ثم الى ثالث كأنه طرزان فى سرعة حركاته . وانتهت به هذه الوثبات الى غصن قريب من الارض فقفز منه فاذا هو فى داخل الضيعة .

وارسل تمبلار بصره فى المكان توجد نفسه فى بقعة انتشرت فيها الأشجار الصغيرة وتكاثفت الأعشاب ونمت الشجيرات حتى استحالت الى شبه سياج صغير .

وبزغ القمر من خلف السحاب فسطع ضوؤه الخافت اذ لم يكن بدرا . وبدد بعض هذه الظلمات التى تشمل الأرض ومكن تمبلار من أن يرمى بعينيه الى مسافة أبعد مما رأى من قبل .

ولم يستطع تمبلار أن يتبين البيت نفسه ولكن كان من المؤكد ــ بناء على الخريطة التى لديه ــ أنه يقع فى نهاية هذه الأرض البراح المنبسطة التى تمتد خلف هذا السياج المقام من الأشجار والشجيرات المتداخلة المتشابكة .

وقرر تمبلار أن يجتاز هذا السياج وان يتخذ طريقه الى البيت مستترا بهذا الظلام ثم يحاول أن يتسلل اليه خفية .

واخذ يشق طريقه بين الشجيرات الكثيفة فأهاج بمقدمه بعض الطيور فانبعثت من أوكارها هائجة مذعورة وطارت تتخبط فى الظلام . وكان ما بين لحظة واخرى يسمع خشخشة الأوراق والأغصان دلالة على ان بعض الحيوانات البرية قد انطلقت هاربة عند اقترابه منها .

وظل تمبلار يقتحم هذه الغابة الصغيرة حتى بلغ نهايتها فاذا هو فى أرض فضاء . ولكنها لم تكن الثلاثين فدانا التى اقيم البيت فى وسطها وانما كانت عبارة عن قطعة ضيقة من الأرض فى نهايتها سياج ثان من الأشجار يقوم خلفه بلا شك الفضاء الكبير الذى يتوسطه الدار .

واجتاز تمبلار هذا الحقل غير المزروع متجها الى السياج الثانى وفى نيته أن يتخطاه كما تخطى السياج الأول . ولكن قبل أن يقترب منه سطع على المكان ضوء شديد صادر من خلف السياج . فأسرع تمبلار بالاختفاء خلف أقرب شجرة اليه وقد ظن للوهلة الأولى أن مصدر هذا الضوء القمر الذى

يزغ من خلف السحب .
ولكن القمر كان لا يزال مستترا بالسحاب .
وفى نفس الوقت تزايد الدوى الذى سمعه تمبلار وهو يجتاز الحقـل .

لقد جاء هذا الدوى الى اذنيه فى اول الامر ظنينا خفيفـا فحسبه صوت سيارة تسير على مسافة بعيدة ، اما الان وقد اشتد ووضح فقد عرف ان هذا الدوى ليس الا ازيز طيارة تحوم فوق المـكان .

اما الضوء الذى سطع فجأة على المكان فكان عبارة عن صواريخ تطلق فى الارض الفضاء التى تقع خلف السـياج الثانى من نوع الصـواريخ التى تهتدى بها الطيـارات فى هبوطها الى الارض ليلا .

ولم يكن فى الامر خفاء بعد ذلك فهناك طيارة تسـبح فى الجو فوق هذه الضيعة ، وهناك صواريخ تطلق خصيصا لاجلها لترشدها الى المكان الذى يجب ان تنزل فيه .

واستطاع تمبلار وهو فى مخبئه خلف الشجرة ان يرى من خلال الفجوات التى فى سياج الاشجار شيئا مما يجرى فى الارض الفضـاء .

كان هناك شـبح رجل يتراءى لعينيـه كلما اضيئت الصواريخ .

ورفع تمبلار عينيه الى السماء فرأى ظلا متحركا كأنه طير ضخم يدور فى الجو متجها الى الارض ..

واشتد الدوى وتضاعف ، وان هى الا لحظات حتى رأى الطيارة تهبط الى الارض وتثب وثبتين او ثلاثا وتزحف الى الامام ثم تقف دفعة واحدة .

وانقطع الازيز ، وخمدت صواريخ الارشاد تدريجيا .

وتنهد تمبلار وعلى شفتيه ابتسامة خفيفة وقال يخاطب نفسـه :

— حقا . لقد حالفنى الحظ . لو اننى تقدمت ربع سـاعة لمـا رأيت شيئا . ولو انى تأخرت ربع سـاعة لمـا رأيت شيئا . الا طبعا هذه السماء المنبسطة والسحب الداكنة ..! ولكنى حضرت فى اللحظة المناسبة لارى كل ما يتمنى ان اراه!

وعلى ضـوء الصواريخ التى خمدت رأى تمبلار قائد الطيارة يهبط منها ويتعاون مع رجل آخر على دفعها بالايدى الى نهاية الارض الفضاء .. فاستنتج تمبلار انهما قد ذهبا بها الى حظيرتها .

ولمـا خبا ضوء الصواريخ الاخير خرج تمبلار من مخبئه خلف الشجرة وهو يعجب لتصاريف القدر واحوال الدنيا . انه لم يحترم فى حياته القبعة العالية السـوداء ولو مرة واحدة ..! كان يعتقد دائما ان هذه القبعة تخفى تحتها الدجل والرياء والنفاق والخداع والمكائد ..! ولكنه لم يكن يعتقـد انها تخفى تحتها التهريب وجرائم العصابات ..!

اما الان . فقد عرف ان سير هوجو رينوى الموظف الكبير بوزارة المالية واحد الذين يلبسون القبعات العالية السوداء المحترمة . انما هو .. مهرب .. لا اكثر ولا اقل ..!

ولا شك ان سـير هوجو رينوى كان مطمئنا الى ان امره لن ينكشف وان هبوط الطيارة فى ضيعته لن يستلفت الانظار. وذلك لان الضيعة مشرفة على البحر . فلو ان عابر سبيل رأى الطيارة وهى تحوم فوق المكان لمـا رابه الامر ولمـا خطر له انها ستنزل فى هذه البقعة بل يظن انها من الطيارات العديدة التى تجتاز بحر المانش فى طريقها الى فرنسـا ..

اما الصـواريخ فلا يمكن ان يراها عابر السبيل لانها محجوبة من الخارج بسياج عال من الاشجار يتلوه ذلك الجـدار

المرتفع . فليس مقدرا ان يرى الصواريخ الا رجل كسيمون تمبلار استطاع ان يتخطى السياج المزود بالاسلاك الشائكة .

وليس في الدنيا كثيرون كسيمون تمبلار . . !

وليس في الدنيا كثيرون مثله يمكن ان يتجاسروا على ان يقتحموا بيت رجل من كبار موظفي وزارة المالية ومن الذين يلبسون القبعات العالية السوداء المحترمة . . !

واستقر عزم تمبلار على ان يتابع تحرياته ولن يجتاز سياج الاشجار والارض الفضاء الواقعة خلفه والتي هبطت فوقها الطيارة لكي ينسل الى البيت حتى يتمكن من الوقوف على اسرار ذلك الرجل المحترم ذي القبعة العالية .

وبزغ القمر للمرة الثانية من خلف السحاب . ورأى تمبلار ارنبا بريا يخرج من وكره ويجري امامه يحاول ان يجتاز نفس سياج الاشجار الذي اراد تمبلار ان يجتازه .

وكان في السياج ثغرة صغيرة قفز منها الارنب الى داخل الارض الفضاء .

وفي تلك اللحظة ومض لهيب ازرق . وعلى ضوئه لمح تمبلار الارنب يثب في الهواء وثبة هائلة ثم يقع على ظهره على مقربة من قدمي تمبلار .

ولم يكن تمبلار في حاجة الى ان يفحص الارنب لكي يعرف انه مات . . !

الفصل الرابع

كان الارنب ميتا . . ! ولو ان الموت كان درجات لقلنا ان هذا الارنب كان في اشد حالات الموت . . !

واخرج تمبلار من جيبه مصباحه الكهربائي الصغير الذي لا يرسل الا خيطا رفيعا دقيقا من النور وجعل يفحص سياج الاشجار على ضوئه .

كانت الاشجار متقاربة من بعضها بريئة المظهر لا ينم شكلها

على شيء من الخطر . ولكن على نور المصباح رأى تمبلار اسلاكا رفيعة من النحاس تصل الاشجار بعضها ببعض في صفوف متوازية لا يزيد ما بينها من فراغ عن ست بوصات . بينما لا يقل ارتفاع هذا السياج السلكي عن سبعة اقدام .

وكان واضحا ان هناك تيارا كهربائيا قويا يسري في هذه الاسلاك فلما لمسها الارنب صعقته لساعته . . وكان هذا المصير هو الذي ينتظر تمبلار بلا شك عندما يهم بتخطي الاشجار محاولا الدخول الى الارض الفضاء . .

ولكن قبل ان يخطو تمبلار خطوته الاخيرة القاضية رأى الارنب وعرف مصيره . . وكان الحظ حليفه في هذه المرة كما كان حليفه في مرات سابقة . .

وهز تمبلار رأسه وقال يخاطب نفسه في صوت خافت :

— ان العناية الالهية لا تريد لي الموت بعد . . حتى انتقم من ذوي القبعات العالية المحترمة !

وعدل تمبلار بطبيعة الحال عن الدخول الى الارض الفضاء اذ لم يكن في وسعه ان يقطع الاسلاك المكهربة بيدين لا تحميهما قفازات المطاط . فتسلق اغصان الشجرة الكبيرة واخذ يثب في خفة من فرع الى فرع حتى انتهت به الوثبات الى المكان الذي ترك فيه سيارته .

ورأى صاحبه هوبي يونيانز جالسا على الرفرف وهو ينظر في حزن وأسى الى زجاجة الخمر التي كانت فارغة .

وانتبه هوبي من تأملاته وقال :

— هيه ايها الرئيس . . هل عدت بالمغانم والاسلاب ؟

فهز تمبلار رأسه واشعل سيجارة وهو يقول :

— كلا . . فاني لم اتمكن من الوصول الى البيت اذ اوقفني ارنب بري . .

فنظر هوبي الى رئيسه في غباوة وبلاهة وقد لاح على

وجهه انه لم يفهم شيئا . فابتسم تمبلار وقال :

— دعك من التفكير فيما قلت يا هوبى وهيا بنا نعود الى لندن وسأشرح لك ما اقصده بعد عام او عامين حين ارى انك فى حالة تمكنك من الفهم !

وجلس تمبلار الى مقعد القيادة وتناول هوبى الزجاجة الفارغة ودسها فى جيبه وجلس الى جوار زعيمه ولكنه جعل ينظر خلفه فى شىء من الحيرة ثم سعل مرتين او ثلاثا وحرك ذقنه بيده وقال :

— يا رئيسى . هل هناك ضرر فى ان نترك الشرطى هنا ؟ .

فصاح تمبلار مستغربا :

— نترك ماذا ؟

— الشرطى . .

فترك تمبلار عجلة القيادة ونظر الى هوبى بوتيانز متفرسا فى وجهه وهو يقول :

— عم تتكلم ؟ .

فقال هوبى بوتيانز وهو يكدح ذهنه على طريقة العلامة اينشتين وهو يحل المعضلات الحسابية :

— المسألة ايها الرئيس هى ان العجلة لم تكن فارغة .

فقال تمبلار :

— اى عجلة . ؟

— العجلة التى طلبت منى ان افرغها . الم تكلفنى بان اغير العجلة التى انفجرت ، ولكنى وجدت انها لم تنفجر .

ولم يكن تمبلار فى هذه اللحظة يفكر الا فى ان ينتقى اقسى الكلمات واللذع الشتائم لكى يطلقها كالسيل الجارف على هوبى بوتيانز جزاء غباوته . ولكن قبل ان يهتدى الى اول كلمة فى

قاموس اللعنات كان بوتيانز قد استرسل فى حديثه كأنما اقسم ان يستمر الى النهاية ما دام قد بدأ فقال :

— ولهذا ارجعت العجلة الاضافية مكانها وجلست انتظر الشرطى وبعد برهة من الوقت رأيته مقبلا على دراجته فقال لى « هيه . ماذا تفعل هنا ايها الرجل ؟ » فاخبرته اننى كنت سابدل العجلة المنفجرة ولكننى وجدت انها لم تنفجر . فقال لى : واى شىء تنتظر اذن ؟ وذكرت عند ذلك ايها الرئيس ما اوصيتنى به فقلت له انى افكر فى الزوجة المسكينة التى تنتظر عودة رجلها الى البيت بفروغ صبر . فما كان منه الا ان قال لى :هل انت سكران ايها الرجل ؟

فقال سيمون تمبلار :

— وماذا كان جوابك على هذا السؤال ؟

— كان جوابى ان لكمته فى ذقنه .

— وماذا قال ردا على ذلك ؟

— لم يقل شيئا ايها الرئيس .

واوما هوبى بوتيانز باصبعه خلفه وهو يقول :

— لقد تركته هناك خلف الاشجار . وهذا هو ما قصدت ان اسألك عنه حين قلت لك اذا كان هناك ضرر من ان نتركه خلفنا . .

وغالب سيمون تمبلار ما كان يجول فى نفسه مغالبة شديدة . . فلو انه اطاع نزواته فى هذه اللحظة لاصبح بوتيانز هو المرحوم بوتيانز ولكان الان جثة هامدة طريحة على الارض خلف الاشجار الى جوار الشرطى الغائب عن الصواب .

وقال تمبلار فى صوت هادىء وهو يكظم ما بنفسه :

— انى مسرور منك يا هوبى .

فاشرق وجه الامريكى وقال :

— حقا ! وهل يرجع سرورك الى ضربى للشرطى ؟

— كلا . بل يرجع الى ان بتعرفى بك وجدت فيك (ترجمة) لا نظير لها فى العالم ، وهى انك اغبى انسان خلق او سيخلق .

ثم أردف يقول :

— ومع ذلك فلندع الشرطى فى مكانه فان ذلك لن يزيد الامور سوءا على سوئها .

وقاد تمبلار سيارته وهو غارق فى خواطره وافكاره .. لقد اسعده الحظ فى هذه المرة وهيأ له مغامرة يرجى ان تكون ممتعة شائقة . فان الظروف لا يمكن أن تسوق كثيرا الى ميدان النضال رجلا من طراز سير هوجو رينوى .

ولم يكن هناك شك فى أن رينوى يشتغل بالتهريب . ولكن أى نوع من التهريب يا ترى ؟ ان الاحتياطات التى يتخذها رينوى كاقامة الاسلاك الشائكة وايصالها بالتيار الكهربائى .

وقتل الطيار الذى وجد على طريق برايتون — كل هذه الاحتياطات تدل على أن سير هوجو رينوى قد اختار من التهريب النوع الذى تشتد فيه العقوبة وتتضاعف الارباح .

وذكر تمبلار ذلك الشرطى الذى اعتدى عليه هوبى يونياتز .. لقد كانت هذه مشكلة جديدة لم يحسب لها تمبلار حسابا .. ولابد ان يسأل عن هذا فى يوم ما . ولكنه مع ذلك لم يكن يبالى بما ينتظره لان الغاية التى يسعى اليها كانت اجل واكبر من ان تسمح بالتفكير فى شرطى مستغرق فى النوم خلف احدى الاشجار .

واودع تمبلار سيارته فى الجراج فى الساعة الرابعة الا ربع بعد منتصف الليل ثم مشى على قدميه الى مسكنه المشرف على ميدان بيكاديللى . وكان عامل المصعد الذى استقبله لا زال يفرك جفنيه من اثر النوم . ولم يكن تمبلار قد رآه من قبل فحسبه عاملا جديدا ونوى أن يستعلم عنه فى الصباح .. فقد كان من شأنه دائما ان يستعين بالخدم والبوابين فى كل

عمارة يقيم فيها وان يتحرى عن تاريخهم خشية ان يكون بينهم نفر من رجال البوليس اندمجوا فى طائفة الخدم رغبة منهم فى مراقبة سيمون تمبلار ورصد حركاته . وكان تمبلار منشغل الخاطر الى درجة جعلته لا يفطن الى ان عامل المصعد قد تفرس فيه طويلا اكثر مما يدعو اليه الفضول العادى .

ولما بلغ تمبلار الطابق الذى يقع فيه مسكنه مشى الى نهاية الدهليز ثم توقف امام الباب وهوبى الى جانبه واخرج المفتاح من جيبه وهم بأن يدخله فى ثقب القفل .

وفى تلك اللحظة سمع صوتا يقول :

— هل تسمح لنا بالدخول ؟

فدار تمبلار على عقبيه واستقرت عيناه على الرجلين اللذين برزا من احشاء الظلام ووقفا خلفه يسدان الممر بجسميهما . ولم يكد تمبلار يراهما حتى التمعت عيناه بوميض النضال اما هوبى يونياتز فمد يده بسرعة الى جيبه الخلفى ليخرج مسدسه ولكن تمبلار امسك بذراعه يمنعه وقال يخاطب الرجلين مبتسما :

— انك تعرف يا عزيزى تيل انى ارحب بك دائما ولكن اسمح لى ان اقول لك انك تختار لزياراتك اوقاتا غير مناسبة .

ثم فتح الباب ودخل الى مسكنه فعلق قبعته على الشماعة وتناول سيجارة من صندوق موضوع على المائدة فاشعلها ثم التفت الى زائريه وقال وعلى شفتيه ابتسامته الساخرة المتحدية :

— والان .. ما هى المشكلة الجديدة التى حملتك على الحضور . ؟ هل سرق القصر الملكى فجئت لتقبض على اعتقادا منك انى انا السارق ؟ ام انك جئت لتقضى الوقت معى فى الغناء بصوتك الجميل ؟

فقال المفتش تيل فى اقتضاب :

— اين كنت الليلة ؟

— وكان واضحا من لهجته انه لا يمكن ان يكون قد جاء لكي يمضي الوقت في الغناء !

وقال سيمون تمبلار وهو يبتسم :

— لقد كنت في زيارة لنابليون بونابرت ؛ والاسكندر المقدوني .. وقد صحبني هوبي يونياتز ليسلينا بالعزف على الكمان ! .

ولكن المفتش تيل لم يبتسم وانما قال في صوت غاضب :

— اذا كنت قد دبرت دليل نفي جديد فاسمعني اياه . ولكن يجب ان يكون دليلا قويا لان في نيتي ان افنده تفنيدا لا يبقى عليه ..

وفكر تمبلار برهة ثم قال :

— ان في سلوكك يا تيل شذوذا لا عهد لي به من قبل .. خبرني . هل بدأت الان تتلقى دروسا بالمراسلات في « فن البوليس السري » ؟ ومع ذلك فلا داعي لان اكتم عنك الحقيقة .. الواقع اننا لم نذهب الى زيارة نابليون بونابرت ولا الاسكندر المقدوني لانهما مريضان منذ بضعة ايام ! وانما ذهبنا الى مخزن التبن لنبحث عن ابرة سقطت من امي بالامس في التبن !

فصاح المفتش تيل يقول :

— هل تظن نفسك ظريفا ؟ اذن .. يجب ان تعلم ان ..

فقال تمبلار متمما :

— يجب ان اعلم انى لست ظريفا ..

فصاح تيل في صوت متهدج :

— أهذا كل مالديك من الاقوال ؟

فاجابه تمبلار في هدوء يثير الحنق :

— الا يكفيك هذا الان ؟ لقد سألتني عما كنت افعله الليلة فاجبتك بأنني كنت ابحث عن ابرة وقعت من امي في التبن .. ومع ذلك فما شأنك انت حتى توجه الى هذا السؤال ؟

وعلى الرغم مما كان يتظاهر به المفتش تيل من الثبات فقد لاح على وجهه انه بلغ الحد الاقصى من الانفعال والغيظ .. ولذلك صاح في صوت متحشرج وهو يضغط الكلمات بشفتيه ضغطا شديدا :

— اصغ الى .. في منتصف الساعة الثانية عشرة من مساء اليوم اعتدى بعضهم على الحارس الليلي لمصانع طيارات هوكر في بروكلاند وصرعه ارضا . بينما كان يقوم بطوافه كالمعتاد حول المصانع .. ولما افاق الحارس من غيبوبته وصرخ مستنجدا ظهر ان احدى الحظائر قد فتحت غصبا وان هناك طيارة قد سرقت ..

ونفض تمبلار سيجارته في المنفضة وكان ذهنه يصطخب كانه موجة عاتية جبارة . ولكن وجهه مع ذلك كان هادئا ساكنا لا ينم بشيء عما يجيش في صدره .

ونظر تمبلار الى الشرطي في بساطة وقال :

— وما الذى يجعلك تظن ان لي ضلعا في هذه السرقة ؟

— انه ليس مجرد ظن .

— حقا ؟ هل هبط عليك الوحي اذن ؟

فقال تيل في صوت رصين :

— ليس هناك ما يدعو الى الظن ما دمت قد تركت خلفك بطاقتك المعهودة .

فرفع تمبلار حاجبيه وقال مستغربا :

— ماذا تعني ؟

— اعني ان الحارس عندما استيقظ وجد على صدره بطاقة عليها اسمك .. انها شبيهة تماما بالبطاقة التي وجدت في الليلة الماضية في جيب الطيار مانويل اثريك .

فهتف تمبلار يقول :

— يا الهي .. لقد انهالت على رأسي الجرائم حتى لم اعد

أدرى من أين تهبط على الجريمة التالية .

وكانت عينا الشرطى باردتين جامدتين وفمه متصلبا قاسيا وهو يقول :

ــ اظن ان فى وسعك ان تفسر ما حدث .

فقال تمبلار فى بساطة :

ــ انى لم ارتكب هذه الجريمة .

ــ ومن الذى ارتكبها اذن ؟

فقال تمبلار فى لهجة جدية :

ــ واحــد من اثنين : نابليــون بونابرت أو الاســكندر المقدونى !

فضرب تيل المنضدة بقبضة يده وقال :

ــ دع المزاح فليس هذا أوانه .

ــ اذن .. لابد ان السارق هو نفس المجرم النذل الذى قتل الطيار فى الليلة الماضية ووضع بطاقتى فى جيبه .

فقال تيل وفى صوته نبرات خشنة :

ــ أهذا هو كل ما لديك من ادلة النفى .

ــ اظن ذلك .

ولم يغب عن تمبلار ان نظرات الشرطى قد التمعت وأن عينيه أبرقتا ببريق السرور والابتهاج حين عرف ان تمبلار ــ للمرة الاولى فى حياته ــ لا يجد من ادلة النفى ما يفند به التهمة الموجهة اليه ..

ولكن تمبلار خيب رجاءه وعكر عليه صفوه اذ قال فجاة :

ــ أوه .. هناك مسألة كدت انساها .. لقد مررت بجراج ليكس فى ميدان بيكاديلي لاخذ سيارتى . وكان ذلك فى الساعة الحادية عشرة والنصف اى فى الساعة التى تقول ان الطائرة سرقت فيها ..

وحملق المفتش تيل فى تمبلار ثم قطب جبينه .. لقد كان يرجو ان تتاح له ــ ولو مرة فى العمر ــ فرصة يجد فيها تمبلار عاجزا ذليلا امامه . ولكن ها هو ذا الشقى قد تقدم فى اللحظة الاخيرة بدليل نفى متين . ولكن تيل لم يشـأ ان يعترف بهزيمته وقال وهو يتعلق بآخر خيط من الامل :

ــ وهل تنتظر منى ان اصدق ذلك ؟

فكان جواب تمبلار :

كلا .. بالطبع .. اذ ليس لك من الذكاء ما يساعدك على ان تفهم الامور ببساطة . ولكن يمكنك مع هذا ان تتحقق من الامر . فاذهب الى الجراج ستجد ان ساعة حضورى لاخذ السيارة مسجلة فى الدفاتر ولا شــك ان العمال الذين كانوا حاضرين لم ينسوا وجهى بعد فهم اسرع اليهم واستجوبهم حتى تتأكد من انه لا سبيل لك مطلقا الى القبض على سيمون تمبلار ولكن اذا شئت ان تستمتع بهذا الحلم بضع ساعات فارجىء استجوابهم الى الغد ..

ثم اردف تمبلار يقول :

ــ والان .. اسمح لى بان آوى الى فراشى مادام ان هذا هو كل ما لديك الليلة ..

فقال المفتش تيل فى غلظة :

ــ بل انتظر قليلا .. فليس حادث الساعة الحادية عشرة والنصف هو كل ما اريد ان اسألك عنه .

وتنهد تمبلار وقال :

ــ الا يزال لديك شىء جديد تكتمه عنى ايها الماكر الخبيث ؟

فقال تيل فى صوت يرن كانه طنين دبور غاضب :

ــ لقد لاح لى فى الليلة الماضية انك كنت شديد الاهتمام بمسيو موجو ريتوى . ولذلك عهدت الى بعض رجال البوليس بان يراقبوا قصره . فانى لا اجهل الان طرقك واساليبك .

وقد خطر لى انك قد تذهب الى هناك . وفى الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف هذه الليلة رأى الكونستابل سيارتك واقفة هناك . وفيها . هذا .. !

وأومأ تيل الى هوبى بونيباتز .

فقال تمبلار وهو يتثاءب :

— خبرنى يا عزيزى هوبى .. هل رأيت شرطيا كما يزعم المفتش تيل فانتبه هوبى بونيباتز على هذا السؤال وقال مجيبا فى بساطة :

— نعم أيها الرئيس .

فصاح المفتش تيل فى صوت كأنه نباح الكلاب :

— هيه . رأيت ؟

وحدج تمبلار الامريكى الغبى بنظرة قاسية فادرك هذا انه قد أخطأ وقال مستدركا :

— نعم . لقد رأيته فى مخزن التبن !

وقد أراد هوبى بونيباتز بهذه الجملة أن تكون نكتة تصلح ما أفسد . ولذلك أدهشه وحز فى كبريائه انه لم ير أحدا يضحك منها .. لا المفتش تيل ولا سيمون تمبلار .

واسترسل تيل يقول فى صوته المتحشرج :

— وقد ضرب هذا الكونستابل ضربة أفقدته الوعى .. فلما أفاق من غيبوبته .

فانبرى تمبلار يقول متمما الجملة :

وجد أبواب القصر مفتوحة على مصاريعها وقد سرق كل ما فيها وليس هذا غريبا فانتى أنا الذى سرقته وقد نقلت ما كان فيه من اثاثات الى طيارتى !

وقــال المفتش تيــل مستطردا دون أن يبالى بمقاطعة تمبــلار :

— وعندما أفاق الكونستابل من غيبوبته أبلغ الأمر الى

المخفر فاخطرونى تليفونيا ..

وهز المفتش تيل رأسه هزات تدل على التهديد والوعيد وقال :

— فالذى أريد أن أعرفه الآن هو : ما الذى كنت تفعله فى ذلك الوقت ؟

فكان جواب تمبلار أن قال :

— كنت أدور بسيارتى حول حديقة رجنت مئات المرات .. وانى أعطيك مليون جنيه اذا استطعت أن تثبت انى لم أكن أفعل ذلك !

وعض الشرطى على شفتيه غيظا حتى كاد يدميهما وقال فى صوت غاضب :

هل تظن أن فى وسعك أن تهزأ بى ؟ هل تظن انك تستطيع أن تجعل منى قردا مضحكا ؟

فقال تمبلار فى لهجة جدية :

— كلا بالطبع .. لا أستطيع أن أجعلك قردا لأنى لا أستطيع أن أصلح وجهك .

ومن الانصاف أن نقول أن المفتش تيل قد لقى من تمبلار فى خلال هذه المقابلة دعابات لاذعة مرة ، بمعدل دعابة فى كل خمس ثوان ... فلو أن هذه الدعابات كانت قطعا من النقود ولو أن المفتش تيل كان كيسا من الجلد لامتلأ الكيس بالنقود ولانفجر وتمزق حتما ..

ولكن المفتش تيــل لم يكن كيســا من الجلد فلهذا كان مستحيلا أن ينفجر ويتمزق . ولكنه فعل ما كان بمثابة الانفجار .. لقد فعل الشىء الذى لم يفعله فى حياته من قبل .. فقد انبعث واقفا وصاح يقول فى صوت مختنق :

— يا سيمون تمبلار .. باسم القانون أقبض عليك بتهمة الاعتداء والسرقة .. والقتل مع سبق الاصرار ..

ومحظور المفتش تيل ان هو اقدم على هذه الحماقة فاسد اهاج تمبلار اعصابه بسخريته ومزاحه اللاذع حتى افقده الوعى فلم يعد يدرى .

الفصل الخامس

اطلقا تمبلار سيجارته فى المنفضة وتفرس برعة فى وجه المفتش تيل دون ان يدهش لما حدث فقد كان يتوقع أن يقدم تيل يوما ما على هذا العمل المجرد من الحكمة .. ان تيل ليس الا مخلوقا بشريا فلا يمكن ان يظل طول عمره يحتمل هذا المزاح الثقيل .. حقيقة ليس لديه فى هذه المرة من الادلة اكثر مما كان لديه فى مرات سابقة . ولكن تمبلار كان يعرف انه لو كان فى مثل هذا الموقف لما تردد فى ان يفعل كما فعل فان للاحتمال حدا ينعدم عنده الصبر .

وقد انعدم صبر المفتش تيل ..

واسترسل المفتش تيل يقول فى صوته المتحشرج الاجش:

— وانى انبهك الى ان ما ستقوله من الان فصاعدا قد يتخذ دليلا ضدك عند المحاكمة ..

وابتسم تمبلار .. وقد فهم موقف تيل .. واحس احساسا صادقا بالعطف عليه والرثاء له .. لو انه كان فى مكان تيل لفعل هذا بالضبط .

ولكنه لم يكن فى مكان تيل . !

ولهذا قال :

— انى لا استطيع ان امنعك اذا اردت ان تجعل من نفسك اضحوكة فى نظر العالم .

وارتفعت يد تمبلار فى سرعة عجيبة واستقرت على فك المفتش تيل فى لطمة عنيفة جبارة .. واختفت من وجه المفتش

دلائل الصلابة والعناد وحلت مكانها امارات الدهشة البالغة . واعقب هذه الدهشة اهتزاز المقاعد والاشخاص وجدران الغرفة فى عينى المفتش تيل .

ثم تخاذلت ركبتاه وهوى الى الارض واستغرق فى نوم عميق .

اما مساعد تيل فقد حملق بدوره فى سيمون تمبلار وتقدم خطوة الى الامام وفمه مفتوح كالبلهاء .. ولكن قدم تمبلار اليمنى استقرت بشدة فى بطنه فدفعته الى الوراء وسقط على ظهره وتدحرج على الارض . وقبل ان يستفيق من دهشته او ينتبه لما حدث له كان تمبلار قد جثم فوق صدره وعاقه عن الحركة او الدفاع عن نفسه .

اما هوبى يونياتز فاغتنم هذه الفرصة ليخرج مسدسه ولكنه لحسن الحظ لم يستعمله والتفت اليه تمبلار وقال له :

— اسعفنى بفوطة من الحمام .. وبالله عليك خبىء هذا المدفع فى جيبك .. الم انبهك من قبل الى اننا لسنا الان فى موسم صيد رجال البوليس ؟

وقبل ان يعود يونياتز بالفوطة كان تمبلار قد قيد الشرطيين بالقيود الحديدية التى كانت معهما ثم سد فميهما بالمنشفة بعد ان مزقها شطرين .

ولما انتهت هذه العملية قال يخاطب صاحبه الامريكى :

— هيا بنا فاننا مسافران .

ومشى هوبى يونياتز خلفه مذعنا دون ان يسأله الى اين يسافران .. ولا ما الذى يدعوهما الى السفر فقد سبق ان قلنا انه ليس من الطراز الذى يقوى على التفكير وان الله قد وضع عقله فى يده لكى يمكنه من ان يخرج مسدسه من جيبه بسرعة البرق .. ولكن التجارب مع ذلك كانت قد علمته بان الحكمة تقضى على الانسان بان يبادر الى الاختفاء عقب المعارك

التي تنشب بينه وبين رجال البوليس .

فلما صارا في ميدان بيركلي قال بونيانز يخاطب تمبلار :

— ولكن هذا ليس هو الطريق الى الجراج ايها الرئيس .

فاجابه تمبلار في اقتضاب :

— انه على الاقل الطريق الى الجراج الذي انوي ان اذهب اليه .

والواقع ان تمبلار لم يكن ينوي ان يستقل في فراره سيارته التي من طراز « هيروندل » فقد كانت هذه سيارة معروفة لجميع رجال البوليس بلونها الاحمر الذي يلفت الانظار . ولا شك ان اول عامل سيفكر فيه المفتش تيل عقب افاقته من غيبوبته انما هو ان يذيع على اعوانه اوصاف السيارة الحمراء المعهودة لكي يقبضوا على من فيها . وقد كانت لدى تمبلار سيارة اخرى يودعها في جراج ثان لا يعرف رجال البوليس اوصافها .. وهي التي كان ينوي ان يستقلها الان في هروبه .

ورأى تمبلار على سبيل الحرص والحذر ان يسلك الطرق غير المطروقة وان كانت طويلة ملتوية . وبعد فترات من الوقت اوقف سيارته عند مدخل مصانع فيكر وسط صف طويل من السيارات المتراصة . فانها في مثل هذا المكان لا يمكن ان تلفت الانظار . ثم مشى الى منزله فبلغه ونور الفجر يبدد الظلمات .

واقبل خادمه الاعرج هوراس فحياه تمبلار بأن قذف بقبعته الى وجهه وهو يقول :

— اي طعام لديك فانني اكاد اموت جوعا ؟

فقال هوراس :

— انتظر نصف دقيقة يا سيدي .

ثم توارى عن الانظار .

وجعل تمبلار في خلال فترة اعداد الطعام يفكر فيما حدث ..

لقد استطاع حقيقة ان يتخلص من المفتش تيل ومساعده السرجنت باروي ولكن ذلك لن يدوم الى فترة طويلة اذ لا يلبث تيل ان يفيق وينزع الكمامة عن فمه ويصرخ مستنجدا .. فما هي الخطة التي يجب على تمبلار ان يتبعها الان ؟ اي بعد ان يجتمع اهل الحي على صراخ المفتش تيل ؟

كان امامه حلان : احدهما ان يذهب الى اقرب مخفر للبوليس ويسلم نفسه لقمة سائغة . ولم يكن في نيته ان يفعل هذا .

اما الحل الثاني فكان ان يغادر انجلترا الى الابد ليقضي بقية حياته في سويسرا مثلا .. ولم يكن ينوي ان يفعل هذا ايضا لانه كان يحب المفتش تيل وكان يعلم بانه لن يجد في بلد آخر كرشا عظيما كهذا الكرش لكي يتحسسه باصبعه .

وهنا طرأ على ذهنه حل ثالث .. وكان حلا جريئا جسورا .. وانهمك تمبلار في التفكير فيه ولم يفرغ من تاملاته الا حين كان يحتسي القدح الثاني من القهوة .

اما هوبي بونيانز فامضى هذا الوقت وهو يفكر في شيء واحد هو ان يجد موضوعا ليفكر فيه !

واخيرا قال بونيانز فجاة :

— ايها الرئيس .. ان رجال البوليس يعرفون ان هذا هو منزلك اليس كذلك .. ؟

فقال تمبلار في لهجة تدل على اعجابه الشديد بما ابدى صاحبه من ذكاء :

— هذا صحيح .. ولكن ارجوك ان تكف عن التفكير والا اصابتك الحمى المخية .. واني في حاجة الى مخك الان لكي تصغي الي ..

وابتهج هوبي بونيانز بهذا الرجاء لانه وفر عليه مؤونة التفكير وكد الذهن فتناول جرعة كبيرة من زجاجة الويسكي

وهو يفكر فى أن فى وسعه أن يطلب من هوراس زجاجة أخرى اذا فرغت هذه الزجاجة .

ودق تمبلار الجرس واستدعى خادمه وقال له :

— ان المفتش تيل يطاردنى الآن يا هوراس .

فقال هوراس فى لهجة جامدة :

— نعم يا سيدى .

فقال تمبلار متظاهرا بالامتعاض :

— الا تظهر شيئا من العطف على سيدك أيها الرجل القاسى الفؤاد ؟ ان من بين التهم الموجهة الى ، القتل مع سبق الاصرار .

فقال هوراس دون أن يدل صوته على الشفقة :

— هذه غلطتك على أية حال وأنت الجانى على نفسك .

فتنهد تمبلار وقال معترفا :

— انك محق فى هذا .. وصديقى هوبى بونياتز يرى أن الفرار أحسكم الخطط .

فقال بونياتز موضحا :

— نعم .. يجب أن نفر الى أقصى العالم .

فقال هوراس :

— اذن انتظر لحظة يا سيدى فانى سأرافقك .

فضحك تمبلار ضحكة رقيقة ووضع يده فى رفق على كتف هوراس وقال :

— شكرا لك يا عزيزى .. ولكن يظهر انك لا تعرفنى على رغم السنين الطوال التى قضيتها معى هل تظن أن سيمون تمبلار يمكن أن يفكر فى الفرار ؟

والتمعت عينا تمبلار وقال :

— لقد ذكرنى هوبى بأن تيل يعرف أن هذا هو بيتى ... وهذا صحيح . ولكن تيل يعرف أيضا انى لا أجهل أنه يعرف

أن هذا بيتى .. ويقترح على هوبى أن نغادر البيت هاربين بأسرع ما يمكن . ولكنه نسى أن هذا هو نفس الشىء الذى يتوقع منا تيل أن نفعله . ولذلك اعتقد أنه لن يخطر له على بال أن يهاجم هذا البيت ليبحث عنى اعتقادا منه بأنى لن أبقى فيه وأنا أعرف أنه يعرفه .. فالخطة الصائبة فى نظرى هى أن أبقى فى هذا البيت لأكون فى مأمن من مطاردة المفتش تيل .. هيه .. ماذا دهاك يا هوبى ؟ هل أنت مستغرق فى النوم ؟

فهز الأمريكى رأسه فى غباوة وقال :

— كلا ... ولكن ولم أفهم قصدك .

— لا بأس .. فان الفهم داء يجب أن لا تصاب به .

ثم التفت الى خادمه هوراس وقال :

— من المحتمل أن تيل قد يرسل بعض رجاله ليحوموا حول المكان ولكنه سيفعل ذلك كمجرد اجراءات شكلية دون أن يفكر جديا فى مهاجمة البيت اعتقادا منه بأنى لا يمكن أن أكون موجودا فيه .. ولهذا السبب لن يكون تيل فى يوم من الأيام من توابع رجال البوليس السرى . ولهذا سيختفىء هوبى فى الغرفة السرية . فلا يمكن أن يهتدى أحد الى مكانه .

فهتف الأمريكى فى صوت يدل على الاستغراب :

— يا الهى . ! هل أمكنك أن تفكر فى كل هـذا فى خلال الدقائق القليلة التى تناولت فيها فطورك ؟

فابتسم تمبلار وقال :

— لقد فكرت فى كل هذا وفى أشياء أخرى أيضا .. ولكنى لن أفضى اليك بهذه الأشياء الأخرى لأن رأسك لن تتسع لها . فهيا أسرع الى الغرفة السرية وسيحمل اليك هوراس طعامك وشرابك فيهـا .

فقال هوبى بونياتز محذرا :

— واياك أن تنسى الشراب .

وحرك تمبلار رف الدولاب بطريقة خاصة فدار على نفسه وانكشف عن ثغرة في الجدار دخل اليها الامريكي وهو يقول :

— وهل سانتظر طويلا في هذا السجن ؟

— كلا بالطبع .. ولكنك ستنتظر على أية حال وقتا يكفيك لكى تشرب في خلاله خمس زجاجات من الويسكى .

فقال بونيانز باسما :

— اذن .. فلن يزيد الامر على خمس دقائق !

ورد تمبلار الدولاب الى موضعه المعتاد والتفت الى خادمه قائلا :

— والان اريد منك ان تتصل بمس هولم وان تنبئها بتطورات الحوادث وما جرى حتى الان .. اما ما سيجرى بعد الان فلا يعلمه الا الله .. ولكننى انتظر اهوالا تشيب لها الرؤوس .

والتمعت العينان الزرقاوان الهادئتان وابرقتا بوميض النضال والتحدى وارتسمت على الشفتين تلك الابتسامة التى يتمثل فيها كل ما في الحياة من تهكم وثبات واستخفاف بالاخطار .

ووضع تمبلار يده في رفق على كتف خادمه وقال :

— اصغ الى يا هوراس . يوجد في قرية بيكفيلد بالقرب من فولكستون منزل يعرف باسم « فيللا مارش » يقيم فيه رجل يدعى سير هوجو رينوى . وحدث اولا امس ان قتل هذا الرجل طيارا اسبانيا اسمه مانويل اتريك وترك جثته على طريق برايتون بعد ان وضع في جيبه بطاقة باسمى .. وبالامس سرق هذا الرجل نفسه طيارة من مصانع هوكر بعد ان رشق بطاقتى في ثياب الحارس الليلى .. وبعد منتصف هذا الليل هبطت في الفضاء الملحق بفيللا مارش طيارة قد تكون هى الطيارة المسروقة وقد لا تكون وقد رايتها بنفسى لانى كنت موجودا هناك . وبعد بضع ساعات حاول

المفتش تيل ان يقبض على بتهمة اننى بطل هذه الحوادث . ولكننى لم اكن الجانى .. ولكن تيل لم يشأ ان يصدقنى وهو معذور اذا اخذنا بالظواهر . ولكننى اعرف خيرا مما يعرف هو ! ولقد ثار فضولى فاردت ان اعرف الاسباب التى تجعل رينوى يحاول ان يلصق بى ما انا منه براء . ولذلك صمم عزمى على ان اقتحم عرين الاسد فاتفنى ..

وتطلع عليه حديثه رنين جرس الباب فقال :

— أغلب ظنى ان هذا مندوب المفتش تيل حضر ليسال عنى تنفيذا للاجراءات الشكلية .. فارجوك ان تقدم اليه يا هوراس اصدق عبارات حبى واحترامى . !

ووثب الى حافة النافذة وهو يقول :

— ولا تنس ان تقدم اليه ايضا مع عواطف حبى سيجارة من السجائر المفرقعة فاذا انفجرت في وجهه فاضحك عليه بملء صوتك ولا تخش شيئا . !

ثم وثب الى الحديقة وتوارى عن الانظار .

الفصـــل السادس

في هذه الدنيا طائفة من السذج ذوى العقول البلهاء يعتقدون ان موظف الحكومة الذى يشغل منصبا كبيرا والذى اوكلت اليه مصالح الدولة ومصائر الجماهير — انما هو رجل يكد ويكدح طول الليل والنهار ولا يكف عن العمل الشاق المتواصل لحظة واحدة من مشرق الشمس الى مغربها .

انهم يتصورونه رجلا لا يكاد يرفع بصره عن التقارير المكدسة امامه .. وانه لا يجد فسحة من الوقت يتناول فيها طعامه .. واذا رجع الى داره مشى منكوس الظهر تحت اعباء المسئوليات الجسام التى ترهقه واذا اوى الى فراشه

عكرت عليه احلامه مهام الدولة ومشاغلها ..

هذه هى الصورة التى يتصورها بعض الناس عن موظف الحكومة الكبير ولكنا بدانا الحديث بان وصفنا هؤلاء الناس بانهم جماعة من السذج لهم عقول اتسمت بالبلاهة والتغفيل.

فهذه الصورة كاذبة فى جميع تفاصيلها لان هذا الموظف الكبير الذى يكاد يقتله العمل المتواصل انما يمضى يومه بالطريقة الاتية :

الساعة العاشرة والنصف يصل الى مكتبه .. يقرا الجرائد . يتحدث عن سهرة الامس مع زملائه .. يتعب سكرتيره بلا سبب .. يطلع على الرسائل الخاصة الواردة اليه ..

الساعة الثانية عشرة والنصف — يعود الى مكتبه ... ليتناول بعض المرطبات او الشاى .

يتمشى قليلا فى الغرفة ويداه خلف ظهره متظاهرا بانه يفكر ليخدع بذلك سكرتيره مع انه فى الحقيقة انما يتمشى ليساعد جهازه الهضمى على اداء وظيفته ..

الساعة الواحدة — يغادر مكتبه ليتغذى ..

الساعة الثالثة — يعود الى مكتبه .. يطلع على الرسائل الخاصة ويطلع على الرسائل المصلحية الاخرى ويتخلص منها باسرع ما يمكن بان يحولها الى بعض المصالح الحكومية الاخرى مدعيا انها هى جهات الاختصاص .

الساعة الثالثة والنصف — يستغرق فى النوم وهو جالس على المقعد الكبير الوثير الموجود فى غرفة المكتب والذى ابتاعته له الحكومة من اموال دافعى الضرائب .

الساعة الرابعة — يستيقظ ليتناول الشاى .

الساعة الرابعة والنصف — يمر بالنادى فى طريقه الى منزله .

هذا هو البرنامج المعتاد الذى يسير عليه كبار موظفى الحكومة . وقد يكون فى البرنامج الذى ذكرناه قليل من المبالغة ولكن الشىء المؤكد ان سير هوجو ريتوى الموظف الكبير بوزارة المالية لم يكن فى الساعة التاسعة والنصف من صباح ذلك اليوم يفكر فى عمله الرسمى وانما كان يتجادل مع بستانيه بشان بعض الازهار التى امره بغرسها فى الحديقة .

ولكن من الانصاف له ان نقول انه لم يكن يفكر حتى فى هذه الازهار وهو يتحدث عنها .

وعلى حين فجاة قطع عليه حديثه ازيز طيارة ظهرت فجاة فى الجو فرفع سير هوجو ريتوى عينيه الى السماء وراى الطيارة تحوم فوق المكان ثم راها تهتز فى الجو وتتمايل ثم تميل بمقدمها الى الاسفل وتنحدر فى سرعة عجيبة حتى توشك ان تصطدم بالارض ثم تعتدل فجاة وترتفع قليلا ثم تعود فتهبط حتى تمس عجلاتها الارض فتنزلق فوقها ويكاد جناحها يصدم سير ريتوى .

وجعل سير ريتوى يرقب الطيارة وهى تزحف حتى وقفت ساكنة ووثب الطيار منها ومشى متجها الى صاحب الارض .

وادرك سير ريتوى ان هذا الطيار حاذق بارع وقد يكون امهر طيار عرفه . فقد استطاع ان يهبط فى مثل هذه البقعة غير الصالحة بحذق يدعو الى الاعجاب .

وذكر سير ريتوى عند هذا : الطيار القتيل مانويل اتريك فقد كانت له مثل هذه البراعة . ومما يؤسف له ان الظروف اضطرته الى ان يخسره .

ولما راى ريتوى الطيار الجرىء يقترب منه تشاغل عنه بالنظر الى الازهار والتظاهر بفحصها .

وقال الطيار يخاطبه :

— انى آسف جدا اذ وجدتنى مكرها على ان اهبط فى ارضـك .

فنظر اليه ريتوى برهة ثم قال فى برود :

— لقد لاحظت ذلك .

ثم رجع الى ازهاره يتأملها .

وكان صوته حافلا بالخشونة التى يعمد اليها كبار الموظفين وهم يخاطبون الجماهير (أو الرعاع كما يسمونهم) ليقنعوهم انهم حقا من كبار الموظفين .

وود الطيار (الذى لم يكن الا سيمون تمبلار) ان ينقض على سير ريتوى فيدق عنقه ويحطم رأسه . ولكنه كظم ما بنفسه وعاد يقول معتذرا :

— لقد فرغ البنزين من الطيارة اسرع مما كنت اتوقع

— هل لك ان تدخن .. ؟

فاضطررت ان اهبط فى اقرب مكان الى وارجو ان لا اكون قد اتلفت شيئا من المزروعات . واذا تفضلت وارشدتنى الى القرية امكننى ان ارسل من يتولى سحب الطيارة من مكانها باسرع ما يمكن .

— سيرشدك احد الخدم الى القرية .

فانحنى تمبلار رأسه شاكرا وهو يقول :

— هذا لطف منك يا سيدى ..

وفى تلك اللحظة وقع حادث غريب غير منتظر .

كان تمبلار يحمل فى يده حقيبة صغيرة حملها معه من الطيارة . ولا ريب ان الحقيبة لم تكن مقفلة باحكام لانها انفتحت فجأة اذ ذاك .

ولو كانت ثياب الطيار هى التى تساقطت من الحقيبة لما كانت خليقة بان تثير التفات سير هوجو ريتوى .. ولكن الذى تساقط منها انما كان علبا صغيرة من الصفيح من طراز

تلك العلب التى تباع فيها الاقراص الخاصة بمعالجة السعال .

ولكن احدى هذه العلب انفتحت ايضا وانتثر منها على الارض مسحوق ابيض اللون .

وانحنى تمبلار على الارض مسرعا وارجع العلب المتساقطة الى مكانها من الحقيبة كما جمع المسحوق الابيض ورده الى علبته ويده ترتعد قليلا وقد بدا عليه شىء من الاضطراب .. فلما لمس ريتوى كتفه اجفل مذعورا .

وقال له ريتوى فى رقة لم يظهرها من قبل :

— معذرة عن فضولى .. ولكن فى حقيبتك اشياء تلفت النظر .

فضحك تمبلار ضحكة قصيرة عصبية وقال :

— انك محق فى هـذا ..

ثم اردف يقول :

— ان هذه العلب عينات لبعض الادوية الطبية . لاننى مندوب متجول لبعض الشركات ..

فهز ريتوى رأسه وقال فى لهجة ذات مغزى :

— فهمت .

ونظر ريتوى الى الطيارة ثم عاد ينظر الى تمبلار مرة اخرى الذى كان قد اغلق الحقيبة . فنهض واقفا وهو يقول:

— انى آسف جدا اذ أزعجتك .

فلم يجبه ريتوى بشىء وانما جعل يتفرس فيه برهة ثم قال فجأة :

— سارسل سائقى الى القرية لكى ينفذ تعليماتك بخصوص الطيارة اما انت فيمكنك البقاء هنا .. ولابد من انتظارك على اية حال حتى اخطر رجال البوليس بما حدث

وكان ريتوى يرقب تمبلار جيدا وهو ينطق بهذه الجملة .

ولم يغب عنه ان تكي الطيار قد تصلبا دلالة على اضطرابه
وشعوره بدنو الخطر .

وقال تمبلار معترضا :

— ولكني لا أريد أن احملك هذه المشقة الجديدة .

فقال ربنوى وهو لا يزال يحدجه بنظراته :

— ليس فى ذلك شيء من المشقة على الاطلاق . فهيا بنا الى منزلى لأقدم اليك كأسا من الخمر ريثما يذهب سائقى الى القرية .

وأخذ بذراع تمبلار ومشى به الى القصر . فلما استقرا فى غرفة المكتبة قال ربنوى :

— هل لك أن تدخن .. ؟

فتناول تمبلار السيجارة التى قدمت اليه واشعلها متظاهرا بأن يده ترتعد .

وقال له رب القصر .

— اجلس يا مستر ..

— تومز ..

— اجلس يا مستر تومز ..

وجلس تمبلار وأخذ يدخن سيجارته وهو صامت بينما دق ربنوى الجرس يستدعى خادمه . فلما حضر أمره أن يأتى بالشراب .

ولما انصرف الخادم قال ربنوى فجأة :

— ان ما حدث لك شيء غريب .

فبوغت تمبلار وقال مستفسرا :

— عفوا . ماذا تقصد ؟

— اقصد نفاد البنزين فجأة من طيارتك .

فابتسم تمبلار وقال :

— آه .. حقا .

ودخل الخادم فى هذه اللحظة يحمل أقداح الشراب فملأ ربنوى كأسين قدم احداهما الى تمبلار ثم حدجه بنظرة فاحصة وقال فجأة :

— هل تعتقد حقا انى صدقت حكايتك عن عينات الأدوية المزعومة ؟ .

فقال تمبلار متهربا من الاجابة :

— وما الذى يدعوك الى عدم تصديقها ؟

فكان جواب ربنوى أن قال فى بطء :

— يدعونى الى عدم تصديقها انى اذا رأيت الكوكايين عرفته على الفور .. !

ولم يكن المسحوق الأبيض الذى فى علب الصفيح كوكايين كما ظن ربنوى فان تمبلار لم يملأها فى الواقع الا بمسحوق بيكربونات الصودا ولذلك حين قال ربنوى انه عرف ان هذا المسحوق هو الكوكايين ود القديس لو انه قهقه ضاحكا ولكنه كتم ما بنفسه ونظر الى الحقيبة مرتبكا مضطربا .

ولكن ربنوى بادره بقوله :

— اطمئن . فلن ابلغ البوليس . فان المسألة لا تعنينى .. وكل ما هناك انى أتساءل عما يدعو طيارا بارعا مثلك الى ان يضيع وقته فى مثل هذه السفاسف التى لا تدر الا ربحا قليلا .

فرطب تمبلار شفتيه بلسانه وقال :

— ان الربح غير قليل على أية حال . ومع ذلك فليس أمامى ما أعمله سوى هذا . لقد كنت فى خلال الحرب من أكبر الطيارين . أما اليوم فلم أجد عملا اقتات منه . ولابد لى ان أعيش فلم أتردد فى أن اقبل القيام بهذه المهمة ..

— ولكنها لن تجعلك غنيا .

فابتسم تمبلار وقال :

ــ وهل تعرف عملا آخر يمكن أن يجعلني غنيا ؟
ورشف رينوى بضع جرعات من كأسه .
لقد كان فى ورطة لا يعرف منها مخلصا . وها هو هذا الطيار قد هبط عليه من السماء لينقذه من هذه الورطة . فلماذا لا يغتنم هذه الفرصة ويستعين به ؟
وأخيرا تكلم رينوى فقال :
ــ فى صباح الغد ستغادر مطار كرويدون الى باريس طيارة تحمل نحو عشرة أطنان من الذهب قيمتها ثلاثة ملايين من الجنيهات .. فاذا صارت الطيارة فوق بحر المانش هوجمت وسرق ما فيها من الذهب .. فاذا لم يكن لجراتك وجسارتك حد أمكنني أن أعهد اليك بهذه المهمة فما هو رأيك؟

الفصل السابع

عندما سمع سيمون تمبلار كلمات رينوى أيقن ان الحظ حليفه ونصيره .
لقد كان فى نيته أن يتسلل الى القصر لكى يلقى عليه نظرة مختلسة ثم ينطلق هاربا قبل أن ينتبه الى قدومه أحد . ولكن الأمور تبدلت فلم يعد فى حاجة الى الدخول خفية وها هو صاحب القصر نفسه يطلب اليه أن ينضم اليه ويفتح له أبواب قصره على مصاريعها .
ولقد نجحت الخدعة التى دبرها وجازت على سيمور هوجو رينوى . لقد ادعى تمبلار أنه طيار وهبط بطيارته فى الأراضى الملحقة بالقصر وزعم أن البنزين نفد منه . ثم تعمد أن يجعل الحقيبة تنفتح لتنتثر منها العلب الصغيرة ولتنفتح احداها فيسقط منها ذلك المسحوق الأبيض الذى ظنه رينوى كوكايين . ولقد أراد القديس بذلك أن يلقى فى روع رب

القصر أنه طيار سيىء السمعة وأنه يشتغل بأعمال التهريب . فقد يكون فى ذلك ما يحمله على اشراكه معه . ولقد صح ما توقعه .
وعاد رينوى يقول متسائلا :
ــ ما رأيك ؟
ــ رأيى أن هذا عمل لا يمكن تنفيذه .
فكان جواب رينوى :
ــ بل يمكن تنفيذه بمعرفة رجال لهم من الشجاعة ما يحملهم على المجازفة فى سبيل الاستيلاء على شطر غير قليل من الثلاث ملايين جنيه ان لدى جميع المعلومات اللازمة وقد دبرت كل شيء ولا ينقصنى الا الطيار القدير الجريء .
فابتسم تمبلار وقال :
ــ ان الطيار هو عماد هذه المغامرة . وكان ينبغى أن تفكر فيه قبل كل شيء .
ــ الواقع انه كان أول شيء فكرت فيه . ولقد كان لدى الطيار الذى يصلح لهذا العمل ولكنه أصيب بحادث وليس فى الوقت متسع للبحث عن سواه . ولهذا نويت أن أقوم أنا نفسى بقيادة الطيارة . وان كنت أعرف أننى لست طيارا خبيرا وليست لى خبرة بالقتال فى الجو . ومن المحتمل أن أفسد المغامرة بتدخلى . أما أنت فلن تفسدها .
وقال تمبلار فى نفسه :
ــ اذن . فقد كان لديه الطيار المرغوب فيه .
ولا شك أن هذا الطيار ، هو مانويل اتريك الذى وجد قتيلا على طريق برايتون .. ولقد ساقت اليه الأقدار طيارا جديدا فلماذا لا يستخدمه فى هذا العمل وقد أبدى فى الهبوط على هذه الأرض غير الممهدة براعة تدل على مقدرته ؟ !
وقال تمبلار :

— انك لست فى حاجة فقط الى طيار وانما فى حاجة ايضا الى طيارة حربية مجهزة بالمدافع .

فكان جواب رينوى :

— ان الطيارة موجودة لقد سرقتها فى الليلة الماضية من مصانع هوكر ، وهى واحدة من تلك الطيارات التى تقوم بصنعها لحساب حكومة مورافيا . وقد اخذت ايضا ثلاثة صناديق ملأى بالذخيرة . وقد توليت قيادة الطيارة بنفسى وهبطت بها الى الارض وكانت هذه اول مرة اعالج فيها الهبوط .

وكانت لهجة رينوى وهو يتكلم متهدجة تدل على الانفعال ويداه ترتعدان .

واخذ تمبلار يستعرض تفاصيل الحوادث فى ذهنه .

لقد كان هناك الطيار المطلوب ثم .. ثم اصيب بحادث .. ومع ذلك فلم يكن فى وسع رينوى ان يتخلى عن هذه المغامرة وهى تنطوى على ثلاثة ملايين جنيه . فنوى ان يتولى قيادة الطيارة بنفسه وفعلا سرقها من المخازن ولكنه عندما هبط بها ادرك ما فى الهبوط من صعوبة تحطم الاعصاب وتهدد الحياة بالموت . وذكر القديس حقيقة انه عندما رأى طيارة رينوى تنحدر الى الارض خيل اليه بانها وشيكة بأن تتحطم. ولهذا لم يكد رينوى يرى تمبلار حتى بادر الى اغتنام هذه الفرصة السانحة لينقذ نفسه من الاستهداف لخطر هو فى غنى عنه لا سيما وان الامر سيدعو الى مهاجمة الطيارة التى تحمل الذهب . للقتال فى الجو اساليب دقيقة ليس رينوى بطبيعة الحال خبيرا بها ، فلم يكن مستغربا اذن ان يفضى بسره الى هذا الطيار (اى تمبلار) فى اول مقابلة تجرى بينهما لا سيما وقد شجعه على ذلك ان تمبلار (كما اعتقد) كان يشتغل بتهريب الكوكايين .

وهز تمبلار راسه وقال :

— ولكن هذا ليس كل شىء .. ان رجال طيارة الذهب سيكونون مسلحين ومزودين بجهاز للراديو يمكنهم من الاتصال بالارض وارسال اشارات الاستنجاد فى حالة الخطر .

فقال رينوى فى هدوء :

— كلا . لن يكون هناك شىء من ذلك . فان الامر فى زمن السلم يختلف عنه فى زمن الحرب . فهم لا يتوقعون ان يهاجمهم احد . وكل ما هناك انهم سيرون طيارة تحوم فوقهم . ولن يكون فى هذا ما يثير استغرابهم . لان الطريق مطروق تتدلعه الطيارات باستمرار . فعليك ان تنحدر اليهم فجاة وتطلق عليهم النار وستصيب الهدف حتما بما لديك من براعة ومهارة . ويجب ان يجهز على الطيارة ببضع طلقات قبل ان يتسع لهم الوقت لارسال اشارات الاستنجاد . فاذا تحطم جهاز الراديو الذى لديهم توليت انا ارسال تقاريرهم المعتادة الى المطار بجهاز خاص اعددته فى قصرى . ولدى بيانات دقيقة عن الرموز التى تستعملها الطيارات فى تخاطبها . وهكذا لن تعرف محطات الطيران بما اصاب الطيارة الا عند عدم وصولها الى المطار النهائى . وستنتظر المطارات ان ترد اليها التقارير اللاسلكية المعتادة من الطيارة وساتولى انا ارسال هذه التقارير كما قلت لك . وبذلك يتم كل شىء دون ان تكون هناك ثغرة تهدد بالخطر .

وعرف تمبلار وهو يصغى الى هذه الكلمات ان رينوى معتوه ولكن جنونه مع ذلك يستند الى تفكير منطقى منظم .

وقال تمبلار معترضا :

— ولكن من المحتمل ان تكون هناك طيارة اخرى او سفينة على مقربة من المكان فترى ما حدث .

فاجاب رينوى وملامحه تدل على نفاد الصبر :

— انك يا عزيزى تبدى اعتراضات سبق أن خطرت لى منذ شهرين فامضيت الوقت فى تنفيذها وتمحيصها واتخاذ اسباب الوقاية ضدها . ان فى وسعى انا نفسى ان ابدى اعتراضات اكثر مما ابديت انت . فيمكننى ان اقول لك مثلا انه ستكون هناك لنشات بخارية خاصة على مقربة من الشاطئين الانجليزى والفرنسى وقد يرى بعضها ما وقع فتخف الى مكان الحادث . ولذلك سيكون من مهمتك ايضا ان تقصى هذه اللنشات وتمنعها من الدنو بمدفعك المترليوز ريثما يتم نقل الذهب .

فقال تمبلار معترضا :

— وكيف تنوى ان تفعل ذلك . ليس فى وسعك أن تنقل عشرة اطنان من الذهب من طيارة معطلة فى خلال خمس دقائق .

فالتمعت عينا ريتوى فى خبث ودهاء وقال :

— وهذا ايضا امر قد حسبت له حسابا .

وملأ كأسه للمرة الثالثة وافرغها فى جوفه دفعة واحدة وكأنما خشى ان يكون لسانه قد زل بمعلومات لا تدعو الحاجة الى الافضاء بها فقال :

— اهتم انت بما يتصل بمهمتك ليس الا . فهل تنوى ان تقبل القيام بما اعرضه عليك . ؟

ففكر تمبلار برهة ثم اجابه بقوله :

— انني رجلك ولك ان تعتمد على .

فاشرق وجه ريتوى ابتهاجا وقال :

— فى هذه الحالة ليس ثمة ما يدعونى الى ان ارسل سائقى الى القرية .

— ولكن ما مصير طيارتى ؟

— يمكنك ان تبقيها هنا فان لدى نفرا من الميكانيكيين

البارعين وساعهد اليهم بفحص طيارتك واصلاح ما بها .

ولم يكن تمبلار فى الواقع يرغب فى ذلك فان أغبى ميكانيكى بمكنته ان يدرك على الفور ان ليس فى الطيارة ما يستدعى الاصلاح وان خزان البنزين ملىء الى عنقه وان صاحبها انما هبط بها فى هذا المكان متعمدا لا لسبب قهرى . ولكنه اجابه فى غير مبالاة .

— شكرا لك .

وتناول ريتوى حقيبة تمبلار فاودعها فى خزانة كبيرة قائمة فى ركن القاعة وهو يقول باسما :

— ان عبوات الادوية ستكون هنا فى أمان . والان هيا بنا لكى آمر الميكانيكيين بالعناية بطيارتك .

وخرجا مرة ثانية الى الحديقة وعبراها متجهين الى الحديقة الخلفية وقال ريتوى وهما يسيران :

— وساعرف رقم الطيارة والوقت الذى غادرت فيه مطار كرويدون بعد خمس دقائق من طيرانها . وبذلك سيكون لديك متسع من الوقت لانتظارها والتهيؤ لها .

وكان فى نهاية الحقل جدار كبير نقر ريتوى على باب صغير فيه ففتحه رجل فى ثياب العمال . فدخلا اليه ورأى تمبلار امامه طيارة كبيرة تملأ الحظيرة . فدنا منها يفحصها فرآها مجهزة بالمدافع السريعة وكانت فى ركن الحظيرة الثلاثة الصناديق التى قال عنها ريتوى انها ملأى بالذخيرة .

واخرج تمبلار سيجارته فاشعلها وهو يجيل عينيه فى ارجاء المكان واومأ تمبلار الى صناديق الذخيرة قائلا :

— وهذه هى التى سنجهز بها على اللنشات البخارية فى حالة اقترابها ؟

فاحنى ريتوى رأسه ايجابا .

واسترسل تمبلار يقول :

— ولكن الا ترى ان من الخطر ان تضع هذه الأشياء هنا فى مثل هذا المكان المعرض للانظار والذى يسهل على الخدم ان يدخلوا اليه ؟

فابتسم ريتوى وقال :

— ان لدى نوعين من الخدم . الأول موضع ثقتى وهـذا لا خطر منه . اما الثانى فمحظور عليه الاقتراب من هـذه الحظيرة وهم لا يعرفون عنها الا انها المكان الذى ركبت فيه الالات المولدة للتيار الكهربائى الخاص الذى يزود به القصر . وفضلا عن ذلك فان الأبواب موصـدة دائما . وقد منحت جميع خدمى عطلة فى الغـد .

واخذ ريتوى يرقب تمبلار وعلى شفتيه ابتسـامة خفيفة كانما يقول له :

— انى رجل شديد الحرص والحذر فكن مطمئنا من هذه الناحية وكانت ابتسامة ريتوى تدل على شىء آخـر . وقد فطن تمبلار الى ذلك فكانه اراد ان يقول له :

— اما من جهتك انت فلست اخشـاك ما دام الكوكايين الذى جئت به مودعا فى خزانتى . فانه يضـمن لى انك لن تفكر فى الغدر والا ابلغت امرك الى البوليس .

ولـما رجعا الى القصر نظر ريتوى فى ساعته وقال :

— ان لدى عملا يشغلنى قليلا فيمكنك أن تمضى الوقت فى التعرف بالرجال الاخرين الذين يساعدوننى فى هذه المهمة .

ودخلا الى البيت من باب آخر خلاف الباب الذى خرجا منه ثم هبطا بضع درجات وسـارا فى دهليز طويل واطىء السقف يفضى الى حجرة كبيرة فيها نوافذ مزودة بقضبان من الحديد وكان سقفها واطئا ايضا يكاد يصدم الرأس .

وقال ريتـوى :

— ان فيللا مارش قديمة العهد يرجع تاريخها الى القرن

الخامس عشر . وهى مزودة بالاقبية والابواب السرية ومنها هذا .. وقد اكتشفته صدفة .

اما هـذا ، فكان بابا سريا فى الجدار انفتح فجأة دون ان يفطن تمبلار الى الطريقة التى فتحه بها ريتوى .

وانكشف الباب السرى عن فجوة يسودها الظلام فمد ريتوى يده الى داخلها وضغط زرا خاصا فسطع فيها الضوء .

واسترسل ريتوى يقول :

— ان هذا السرداب يؤدى الى القبو .. وكان للقبو منفذ آخر يتصل بالمطبخ ولكننى سددته بالحجارة ..

ودخلا الى السرداب السرى وهبطا بضع درجات مصنوعة من الخشب انتهت بهما الى سرداب آخر فأضاء ريتوى النور فيـه .

وسار تمبلار خلف سير هوجو ريتوى وهو يقول فى نفسه :

— ترى .. هل ينوى حقيقة ان يقدمنى الى اعوانه ام انه يمكر بى وخدعنى فتظاهر بانه امن جانبى حتى يقودنى الى هذا القبو ثم يغلق على الأبواب فجأة وينسل هاربا ويتركنى اموت هنا جوعا .

ولم يكن تمبلار يرغب بطبيعة الحال فى ان يموت جوعا .. ولهذا كان حريصا دائما على ان يسير خلف صاحب القصر حتى يتمكن من مراقبة حركاته .

ولـما بلغا نهاية السرداب انعطفا الى اليمين فاذا هـما فى حجرة كبيرة فى وسطها مائدة من الخشب وفى اركانها صف من السرائر .

وكان فى الغرفة اربعة رجال مجتمعين حول المـائدة وهم يلعبون الورق وكان هناك خامس يخيط ثقبا فى ثوبه اما السادس فكان منهمكا فى مطالعة احدى الصحف .

ولما رأى تمبلار هؤلاء الرجال وما تنم عليه نظراتهم ووجوههم من الشر والاجرام لم يستبعد ان تكون هناك مكيدة مدبرة للايقاع به . فوضع يديه فى خصره حتى تكون يده اليمنى قريبة من جيبه الخلفي ليسهل عليه ان يشهر مسدسه حين الحاجة اليه .

وقال رينوى :

ــ ايها السادة . هذا هو مستر تومز الذى سيحل محل اتريك .

ولم يبد على الحاضرين انهم حفلوا بهذا الرفيق الجديد . والتفت رينوى الى تمبلار وقال :

ــ وهذا هو مستر بتريتز .. ومستر بارجو .. ومستر جيدى ..

واخذ يسرد اسماء الرجال ويومىء برأسه الى صاحب الاسم . ولم يكن تمبلار فى حاجة الى نظرة أخرى ليتأكد ان هؤلاء الرجال من سفاكى الدماء الذين لا تحلو لهم الحياة الا اذا غرقوا فى الجثث والدم .

واستقرت نظرة تمبلار على الصحيفة التى كانت منشورة بين يدى هؤلاء الرجال ولفت نظره فيها عنوان ضخم مكتوب بالحروف الكبيرة البارزة هذا نصه :

« سيمون تمبلار يسرق طيارة حربية » .

وذكر تمبلار عند هذا انه لم يسأل بعد صاحب النصر عن اسمه فالتفت اليه وقال :

ــ هل انت سيمون تمبلار .. ؟

فكان جواب رينوى ان قال :

ــ نعم .. انني سيمون تمبلار .

الفصل الثامن

اقام تمبلار فى هذا الكهف السرى ثماني عشر ساعة ظنها ثمانية عشر يوما . فقد كان شديد التلهف الى الخروج والوقوف على المرحلة الاخيرة من هذه المغامرة المدفوفة بالاخطار ..

وكان فى ركن القبو دولاب صغير من الخشب فيه زجاجات من البيرة وعلب من الاطعمة الجافة وقطع من الخبز . فاذا احس احد الحاضرين شيئا من الجوع فتح الدولاب واخذ منه حاجته ..

ونهض احد الذين كانوا يلعبون الورق فارتمى على السرير واستغرق فى النوم وشخيره يتجاوب فى ارجاء المكان .

والتفت احد اللاعبين الى تمبلار وقال له :

ــ اتريد ان تشترك معنا .. ؟

فجلس تمبلار على المقعد الخالى واشترك فى اللعب فما مرت ساعتان حتى كان قد غلب خمسة اشواط . فقال بارجو الذى كان يتولى تدوين حظوظ الخاسرين والرابحين :

ــ انك مدين يا تومز بخمسمائة جنيه ..

فقال تمبلار :

ــ ولكن ليس معى خمسمائة جنيه ..

فابتسم الرجل ابتسامة قبيحة كريهة وقال :

ــ ولا نحن ايضا .. ولكن بعد غد سيكون معك !

وكان الامر واضحا . فبعد غد سيكون رينوى قد دفع اليهم حصتهم فى الملايين الثلاثة التى استولوا عليها من الطيارة ..

ولقد رأى تمبلار المدعو جيدى يخسر فى شوط واحد ما قيمته ثلاثة آلاف جنيه دون ان يختلج فى وجهه عرق واحد ..

ولا شك ان رينوى قد ساهم بحصة كبيرة من الغنيمة .

ولا شك انهم كانوا واثقين من نجاح المؤامرة ولهذا اخذوا يخسرون بالمئات دون ان يكترثوا لذلك . ومن المؤكد انهم فى سبيل هذه الثروة الكبيرة المنتظرة لن يحجموا عن القيام بكل ما يطلبه منهم رنوى .

وهكذا استطاع رينوى بالاستعانة بهم ان يضع هذه المؤامرة التى يمكن أن توصف بانها اعظم واجرأ سرقة فى التاريخ ..

وطوى الرجل الذى كان يقرأ الصحيفة وارتمى على الفراش واستغرق فى النوم فتناولها تمبلار ومضى يطالعها . نقرأ فيها : تعقيبا على حادث سرقة الطيارة ، ان ادارة سكتلانديارد قائمة على ساق وقدم .

وكان تمبلار لا يجهل طبعا ان اسكتلانديارد قائمة على ساق وقدم ؛ فلا شك أن المفتش نيل الان يصرخ بملء صوته ويسب ويلعن ويصخب دون سبب .

وصاح احد المستلقين على الفراش قائلا :

ـ اطفئوا النور فانى أريد ان انام ..

واطفأ تمبلار النور وارتمى على فراشه وما لبث أن غلبه النوم . وعندما افاق من نومه وجد النور مضاءا والرجال يرتدون ثيابهم ويحتسون اقداح الشاى الساخن ثم مضوا الى السرداب واحدا فى اثر الاخر . فلحق بهم تمبلار وصعد الدرج الخشبى خلفهم . فلما صار فى القاعة الكبرى ذات السقف الواطىء وجد رينوى واقفا الى جوار الباب السرى يرقب اعوانه وهم يخرجون من السرداب .

ـ كيف حالك ؟

وقال له رينوى :

فابتسم تمبلار وقال فى صوت خافت لا يسمعه الاخرون :

ـ لقد كان رفاقى من الطرف الناس . !

وانقفل الباب السرى ـ كما انفتح ـ دون ان يفطن تمبلار

الى الطريقة التى يتحرك بها .

ولما خرجوا الى الحديقة كان الظلام يسود المكان فاخرج رينوى من جيبه مصباحا كهربائيا وارسل ضوءه ليبدد الظلام .. وكانت تتراقص امام عينى تمبلار الاضواء الكهربائية المنبعثة من مصابيح الرجال الستة وهم يسيرون امامه .

وخرجوا من الحديقة الى خارج القصر من خلال باب صغير فى الجدار واتجهوا الى ناحية البحر فلما دنوا من الصخور اختفى الضوء الذى كان يهتدى به الرجال الستة فى سيرهم . فعجب تمبلار لذلك وهم بان يسأل رينوى عنهم ولكن هذا انعطف تجاه الى اليمين خلف صخرة كبيرة وهو يقول :

ـ تعال من هنا .

واذا وراء الصخرة سلم حجرى منحوت فى الارض اخذ رينوى يهبط عليه وخلفه تمبلار . وعلى عمق ثلاثين قدما تراءت انوار المشاعل الكهربائية للمرة الثانية .

وفى نهاية السلم كان كهف صغير سمع تمبلار عنده اصوات مجداف يضرب الماء وقال رينوى موضحا :

ـ فى اوان الجزر ينحسر الماء عن هذا الكهف فيكون طريقا سريا يصل الى البحر .. اما فى وقت المد فيغمره الماء ..

وارسل رينوى ضوء مشعله من خلال الكهف فرأى تمبلار غواصة ظاهرة على سطح الماء فادرك ان رينوى سيستعمل هذه الغواصة فى مغامرته فينقل اليها الذهب من الطيارة المحطمة فى خلال دقائق قليلة . وعلى اثر ذلك تغوص فى الماء وتتوارى عن الانظار قبل ان يتمكن احد من اقتفاء اثرها .

حقا ان رينوى رجل داهية !

وقال رينوى :

— لقد اشتريتها منذ بضعة شهور من شركة فرنسية لتمثيل الافلام السينمائية .

— ومن الذى سيتولى قيادتها ؟؟

— بطرودز . لقد كان من ضباط الغواصات فى الحرب الماضية .. ولقد كانت هناك صعوبة كبيرة فى الحصول على الطوربيد لنزود به الغواصة حتى نتمكن من الدفاع عن نفسها اذا أحدق بها الخطر . ولكننا نجحنا فى ذلك فى النهاية ..

فهز تمبلار رأسه وقال :

— لقد فهمت .. ينقل الذهب الى الغواصة فتغوص فى البحر قبل أن يلحق بها احد ثم لا تظهر الا فى امريكا الجنوبية مثلا ..

— بل ستظهر هنا .. فان هناك أسبابا قوية سيعتقد معها الناس أن هذا هو آخر مكان يمكن ان تلجأ اليه الغواصة ..

ولم يغب عن تمبلار ما يرمى اليه رينوى اذ لن يخطر طبعا لرجال البوليس أن الغواصة التى سرقت ذهب وزارة المالية انما لجأت الى قصر هذا الموظف الكبير فى وزارة المالية ..

وكان الرجال الذين فى القارب قد وصلوا فى ذلك الوقت الى الغواصة وأخذوا يصعدون الى سطحها .

واسترسل رينوى يقول :

— ان المعلومات التى لدى تدل على أن الطيارة ستغادر مطار كرويدون حوالى الساعة الثامنة . فاذهب أنت الآن لفحص الطيارة ريثما اتحدث أنا الى بيترودز فى بعض الشؤون ..

ورجع تمبلار وحده الى القصر ولكن لم يكن فى نيته طبعا

أن يضيع دقيقة واحدة فى فحص الطيارة الحربية . وانما كان يريد أن يفحص شيئا آخر له عنده خطر أجل وأكبر .

وعندما دخل تمبلار الى غرفة المكتبة كان نور الفجر قد بدأ يبزغ ..

وجثا تمبلار أمام الخزانة واخرج من جيب معطفه كيسا صغيرا من الجلد تناول منه بعض أدوات وآلات خاصة واخذ يعالج بها قفل الخزانة فى حذق وبراعة فلم تكد تمضى على ذلك عشرون دقيقة حتى انفتحت الخزانة فرد الآلات الى جرابه الجلدى ووضعها فى جيبه .

ثم شرع يفحص محتويات الخزانة .. ووجد امامه رزمة من الرسائل جعل يقلبها بسرعة حتى عثر بينها على خطاب من الطيار القتيل مانويل اتريك موجها الى سير هوجو رينوى .. فوضعه فى جيبه ..

ووجد صندوقا صغيرا من الخشب مملوءا برزم الاوراق المالية والسندات التى تعتبر ملكا لحاملها فوضعها ايضا فى جيبه لان قلبه لم يطاوعه على أن يتركها .

وفى تلك اللحظة سمع وقع أقدام خارج الغرفة فوثب فى قفزة واحدة وتوارى خلف الستار بعد أن أوصد باب الخزانة . .

وبعد برهة دار مقبض الباب ثم فتح ودخل صاحب القصر ..

ومشى رينوى الى الخزانة مباشرة وهو يخرج المفتاح من جيبه ولكنه لم يكد يلمس مقبضها حتى تحرك الباب فى يده وانفتح .. فقطب رينوى جبينه والقى نظرة عجلى على محتوياتها ثم تناول صندوق الاوراق المالية وفتحه فوجده فارغا ..

وبرز تمبلار من خلف الستار ووقف بين رينوى والباب

وهو يقول :

— طاب صباحك يا سيدى . !

الفصــل التاسع

دار ربنوى على عقبيه ونظر الى فوهة المسدس المصوب اليه ثم ما لبث أن استرد ثباته وتمتم قائلا :

— اهو انت ؟

فقال تمبلار مجيبا :

— نعم انا . . فاقترب منى يا موجو لانى اريد ان اعرف ما نحمله معك .

ومد يده فى جيب ربنوى واخرج مفكرة صــغيرة ولم يكد يلقى نظرة عليها حتى عرف أنها نفس المفكرة التى انتزع منها ربنوى الورقة التى كتب عليها اسم « سيمون تمبلار » وتركها على جثة الطيار مانويل اتريك .

ولا شك ان ربنوى كان مطمئنا تمام الاطمئنان الى ان الشبهة لن تحوم حوله والا لما جازف بالاحتفاظ بهذه المفكرة وهو يعلم انها يمكن ان تتخذ دليلا ضده .

ولم ينتبه تمبلار الى ان رجلا دخل الغرفة فى هذه اللحظة ودنا منه من الخلف وانقض عليه فطوق عنقه بذراعيه وشــد عليها . .

وسقط الرجلان الى الارض فى نضــال عنيف بينمــا طار المسدس من يد تمبلار .

وبعد عراك قصير استطاع تمبلار أن يلكم خصــمه لكمة ألقته على الارض صريعا ثم وثب واقفا ليجد ان ربنوى قد التقط المسدس وصوبه اليه .

ورفع تمبلار يديه الى اعلى وهو يقول :

— ايه . . لا مفر من الخضوع . ان المسدس محشـــو بالرصاص . .

فقال ربنوى مزمجرا :

— ايها الأحمق المجنون !

وانحنى ربنوى والتقط المفكرة التى كانت قد سقطت ايضا من تمبلار فوضعها فى جيبه .

وكان تمبلار يفكر فى الخطة التى ينبغى عليه ان يتبعها . . ان فى جيبه الخطاب الذى كتبه اتريك وكذلك رزمة الاوراق المالية وليس هناك ما يدعو ربنوى الى الاشــتباه فيه فان استيلاءه على المفكرة قد لا يثير شيئا من الشك .ومن المحتمل جدا ان ربنوى سيظن انه اراد ان يسرقه ليس الا ولن يخطر له على بال انه اراد ان يثبت عليه تهمة قتل الطيار .

فاذا كانت غايته هي السرقة فان من المحتمل ان يطلق ربنوى سراحه اما اذا عرف أن غايته هى اثبات القتــل عليه فان تمبلار بطبيعة الحال لن يخرج حيا من القصر ولن يعرف ربنوى ذلك الا اذا فتشــه وعثر فى جيبــه على خطــاب الطيــار القتيل . .

واخرج تمبلار من جيبه رزمة الاوراق المالية والقاها عند قدمى ربنوى وهو يقول :

— هاك ما سرقت منك . فهل يمكننى ان اعتبر ان المسالة قد انتهت . ؟

تضايقت عينا ربنوى وقال :

— وهل من عادتك ان تنهى مشاكلك بمثل هذه السهولة ؟

— ليس دائما . . ولكن لا اظنك تنوى ان تبلغ البوليس فاننى اعرف عنك الشيء الكثير .

وفى اللحظة التالية عرف تمبلار ان لســانه قد زل وانه اخطأ

حين نطق بهذه الجملة . فقد نظر رينوى الى بتريدز وقال فى لهجة ذات مغزى :

— انه يعرف الشىء الكثير ؟

وقال تمبلار مستطردا :

— واظنك بعد هذا لن تسمح لى بقيادة الطيارة ؟

— هذا شىء طبيعى يا مستر تومز .

— وهذا ما كنت أتوقع .

وانبرى بتريدز يقول فى لهجة خشنة :

— دعنى آخذه معى الى الغواصة فاربطه بالسلاسل الى قنبلة الطوربيد ثم اطلقهما معا فلا تعود تخشى ان يشى بنا ..

وفكر رينوى فى هذا الاقتراح برهة ثم قال :

— كلا .. انى لا اريد ان يعرف الاخرون شيئا مما حدث .. فان الشك او الخوف اذا تسرب الى نفوسهم افسد كل شىء .. لنحبسه فى القبو ويمكننا فيما بعد ان نلحقه بصاحبه اتريك .

فابتسم تمبلار وقال فى صوت هادىء :

— شكرا لك يا هوجو . فانى بغريزتى انفر من الغواصات ..

فقال رينوى متهكما :

— وانى لارجو ان تظل دائما راضيا عنى !

ودق جرس التليفون فى هذه اللحظة فجلس رينوى الى مكتبه وتناول السماعة فوضعها على اذنه وهو يقول :

— هالو .. نعم .. انى انا الذى اكلمك .

ثم تناول قلما من فوق المكتب وخط بضع كلمات على مفكرة امامه وهو يقول :

— نعم .. ج ا س وا .. حسنا .. فى الساعة السابعة

.. « تماما » شكرا لك .

ثم رد السماعة بكانها ولبث برهة ينظر الى المفكرة .. ثم ضغط زر الميكروفون الموضوع على مكتبه والذى يصل الى حظيرة الطيارة وقال مخاطبا العامل الميكانيكى ، وقد ادنى فمه من بوق الميكروفون :

— كيلارد ؟ لقد حدث تعديل فى المواعيد . اخرج الطيارة من الحظيرة وجهزها للرحيل فى تمام الساعة السابعة .

ثم نهض واقفا والتفت الى بتريدز قائلا :

— ستغادر الطيارة المطار قبل موعدها السابق تحديده بساعة كاملة فليس لدينا من الوقت ما نضيعه .

فقال الرجل متسائلا :

— وهل تنوى ان تتولى انت قيادة الطيارة بنفسك ؟

— نعم ..

ثم أوما بمسدسه الى الباب وهو يقول :

— تفضل الى القبو يا مستر تومز .

ولما صار تمبلار فى القاعة ذات السقف الواطىء وجد ان الباب السرى قد انفتح فجاة للمرة الثالثة دون ان يعرف كيف فتحه رينوى . ووقف الرجلان يرقبانه وهو يدخل الفجوة ويهبط الدرجات ..

ثم تحرك الباب واغلق خلفه .

ووقف تمبلار عند نهاية الدرج يدخن سيجارته دون ان يسرى الى نفسه شىء من القلق او الانزعاج .

لقد كان واثقا من ان اقامته فى هذا السجن لن تطول كثيرا لا سيما وقد غفل رينوى عن تفتيشه وتجريده من تلك الالات التى يحملها فى جيبه والتى تستعمل فى فتح الابواب .

وكان واثقا ايضا من ان رينوى سينفذ مؤامرة رهيبة وسيهاجم طيارة الذهب . الا اذا تمكن تمبلار من مغادرة

سجنه في الوقت المناسب وبعد بضع دقائق شرع تمبلار في العمل . وفي الساعة السابعة وخمس دقائق كان قد تمكن من الخروج ..

كان الباب مصفحا بالحديد ومركبا في داخل الجدار فاضطر ان ينقب الجدار بمفك صغير كان معه حتى اذا وصل الى المفصلات المثبت بها الباب الحديدى فكها ونزع الباب من مكانه ..

وكانت هذه هي الوسيلة الوحيدة التي مكنته من الخروج .. وهي بطبيعة الحال لم تخطر على بال ريتوى .

واسرع تمبلار الى غرفة المكتبة دون ان يلقى في طريقه احدا ولم يستغرب ذلك لان ريتوى كان قد اخبره بانه صرف الخدم في ذلك اليوم .

ولما انتهى الى المكتبة واطل من النافذة في حذر راى الطيارة الحربية تزحف على الارض وترتفع في الجو كانها سهم مارق ..

واشعل تمبلار سيجارته وهو يفكر في الخطة التي يجب عليه أن ينتهجها .

ها هو ذا ريتوى قد انطلق في الجو بالطيارة الحربية المجهزة بالمدافع السريعة لينتظر قدوم الطيارة التجارية التي تحمل الذهب فيطلق عليها النار ويسقطها .

فما العمل الان . ؟

وجلس تمبلار الى المكتب ودق التليفون يطلب مطار كرويدون .

فجاءه الجواب من العاملة بعد لحظات يقول :

ـــ اني اسفة يا سيدى . تليفون المطار معطل .

ـــ اذن . اعطيني مخفر بوليس المطار .

ـــ اني اسفة ايضا . فالاتصال بمطار كرويدون وملحقاته

متعذر الان لان جميع الخطوط هناك معطلة .

وعض تمبلار على شفته وقال :

ـــ وهل يمكنك أن تصليني بادارة سكتلانديارد . ؟

وكان يعرف جواب هذا الطلب ايضا حتى قبل ان يسمعه ! حقا ان سير هوجو ريتوى داهية لا يشق له غبار . فقد اتخذ الحيطة وقطع كل مواصلة ممكنة بمطار كرويدون وملحقاته زيادة في الحذر حتى اذا فرض وامكن احدى السفن العابرة ان ترى الحادث فانبأت به المحطات البحرية باللاسلكى استحال على هذه المحطات ان تتصل بالمطار او بادارة سكتلانديارد .

ونفث تمبلار من فمه خيطا طويلا من الدخان وقال في نفسه :

ـــ بعد بضع دقائق ستصل الطيارة التجارية الى هنا فينقض عليها ريتوى ويحطمها بمدافعه قبل أن يخف احد الى نجدتها .. فما العمل ؟

كانت هناك خطة واحدة قد تنطوى على خطر جسيم .. لكنها الخطة الوحيدة التي يمكن أن تفضى الى نتيجة ..

وفضلا عن هذا فقد ذكر تمبلار ما قاله ريتوى لبيبريدز حين اقترح عليه نقل تمبلار الى العواصمة .. فقد قال له انه لا يريد أن يعرف الاخرون شيئا مما حدث .

وتمتم تمبلار يقول :

ـــ اذن .. فلم يعرف الاخرون انني غدرت بريتوى .

ومد يده على الفور فضغط زر الميكروفون وادنى فمه من البوق وقال :

ـــ اهذا انت يا كيلارد ؟ انني نومز .. اخرج طيارتى وجهزها للرحيل باسرع ما يمكن .

فاجابه الميكانيكي قائلا :

ـــ سافعل حالا يا سيدى .

واحس تمبلار كانما انزاح عن صدره عبء ثقيل .

حقيقة قد يكون فى هــذه الخطة التى ينتويها خطر بالغ .. ولكنه لم يكن يبالى بذلك .. انه مطبوع على الولع بالمجازفات وفى سبيلها لا يقيم وزنا لحياته .

ولم يكن قد نسى طبعا ما اخبره به رينوى من ان فى القصر جهازا لاسلكيا . ولكن لم يكن فى وسعه استعمال هذا الجهاز وارسال اشــارات الاستنجاد بواســطته لانه لم يكن يعرف موضعه . وكان واضحا ان العثور على هذا الجهاز فى فترة وجيزة امر قد يبلغ حد الاستحالة .

وتذكر تمبلار عند هــذا صديقته باتريشيا هولم .. وكان طبيعيا ان يذكرها وهو مقدم على مغامرة جريئة قد يلقى فيها حتفه .. فتناول التليفون ودق الجرس واتصل بها . فلما لبت نداءه قال لها فى صوت رقيق عطوف ردا على سؤالها :

ــ ولكن .. ما الذى يزعجك ؟ انتى بخير .. كلا لم تكن هناك اية مشكلة .. وكل ما هنالك ان المفتش تيل اصيب بحمى مخية جعلته يفكر فى القبض على ! وانت تعرفين ان المسكين معرض لنوبات هذه الحمى من وقت لآخر .. ولكن المسالة قد انتهت على اية حال .. كلا .. دعك الان من التفاصيل يا عزيزتى .. والان اصغى الى . فهناك مسالة مهمة ساذكرها لك .. هل تذكرين شخصا يدعى جورج ويفس كنت قــد اخبرتك انى انوى ان اسطو عليه فى احد الايام ؟ حسنا .. انه يقيم فى المنزل رقم ٢٦٦ بشــارع أردلى . انه معتاد ان يحمل فى محفظته دائما ما لا يقل عن الفى جنيه .. فاذهبى اليه ومعك هوبى يونيانز واسرقا المحفظة .. ولا تنسى عند انصرافك ان تتركى بطاقتى على المنضدة !

فضحكت باتريشيا هولم . وقالت :

ــ ماذا دهاك ؟ هل انت مجنون ؟.

ــ نعم انى مجنون . وغير مجنون .

ثم اردف يقول :

ــ انى اريد ان امكنك من الاســتيلاء الان على اكبر قدر ممكن من المال .

ــ ولماذا ؟ .

ــ لانتى سانتحر الان !

وقد نطق تمبلار بهذه الجملة فى لهجة جادية فلم تدر باتريشيا اذا كان يمزح او يجد فى قوله :

وقال تمبلار مسترسلا :

ــ نعم . سانتحر الان .. فليحفظك الله يا حبيبتى !

ثم وضع السماعة مكانها واسند راســه الى حافة المقعــد واخذ يدخن سيجارته بسرعة وهو يرسل من فمه حلقات ملتوية من الدخان وعلى شفتيه ابتسامته المتهكمة غير المكترثة وفى عينيه وميض النضــال والاستخفاف بالاخطار .

لقد كان حقيقة ينوى ان ينتحر .. ولكنه لم يكن انتحارا بالمعنى الحرفى .

لقد كان فى نيته ان يركب طيارته ويلحق بطيارة رينوى التى كانت تحوم فى الجو على مقربة من القصر فيعرقل حركاتهــا ويمنعها من مهاجمة الطيارة التى تحمل الذهب .

ولم يكن تمبلار يجهل ان طيارته من طراز مدنى غير مسلح .. ولم يكن يجهل ان طيارة رينوى حربية مسلحة بالمدافع .

ولهذا قال لباتريشيا انه ينوى ان ينتحر .

وانتبه تمبلار من تاملاته اذ راى ظلا متحركا يسقط فجاة على المكتب امامه . فرفع راســه ونظر الى صــاحب هــذا الظل ..

فراى رجلا يسد الباب المتصل بالشرفة بجسمه الضخم

وكرشه البارز ووجهه السمين المكتنز .
اما هذا الرجل فلم يكن بطبيعة الحال الا المفتش تيل .

الفصل العاشر

هب سيمون تمبلار واقفا وهتف يقول :

— تيل . ؟ انت هنا . ؟ انك لا يمكن ان تدرك مبلغ سروري برؤية كرشك الضخم . ؟

فقال البوليس السري في خشونته :

— وانت لا يمكن ان تدرك مبلغ سروري بعثوري عليك بعد ان فررت مني ثم تقدم الى داخل الغرفة بضع خطوات فظهر خلفه مساعده السير جنت باروي .. وكان فك المفتش تيل لا يزال متورما يذكره بتلك اللكمة القوية التي اصابته منذ يومين من قبضة سيمون تمبلار ..

وقال تيل :

— لقد توقعت ان اجدك هنا .. فانني اعرف انك مهتم بسنيور هوجو ريتوي وقد سبق ان زرته حين اعتدى هوبي بونيانز على الشرطي .. فلم استبعد ان تحضر لزيارته مرة اخرى لان جرائك لا حد لها .

فقال تمبلار مقاطعا :

— دعنا الان من هذا الحديث فان لدي شيئا مهما اريد ان افضي به اليك .

فقال الشرطي في صوت شديد النبرات :

— وانا ايضا لدي شيء مهم اريد ان افضي به اليك .. اني اريد ان اقبض عليك يا تمبلار .

فدار تمبلار حول المكتب مبتعدا قليلا عن تيل وهو يقول :

— يخيل الي انك تتكلم جديا في هذه المرة .. وهذا شيء

يؤسف له ..

فقال تيل في غلظة : — نعم .. انه شيء يؤسف له وانت الذي ستاسف لا انا .

واخرج يده من جيبه وفيها مسدس صوبه الى تمبلار وهو يقول :

— اني لا انوي ان استعمله .. ولكني في الوقت ذاته لا انوي ان اتركك تفلت مني ولو اضطررت الى ان اطلق عليك النار ..

فابتسم تمبلار وقال :

— ما اقسى فؤادك يا حبيبي تيل .. انك تعرف انه قد مر بي يومان وانا اناجيك في احلامي وقلبي يتمزق غراما ولهفة الى مقابلتك .. فهل من الرحمة ايها الحبيب ان تقابل روميو متهددة باطلاق النار عليه ؟ حقا انني لم اكن اظن يا جولييت انك قاسية الى هذا الحد !

فصاح تيل في صوت يدوي كالرعد :

— دع المزاح فليس هذا اوانه .

فقال تمبلار :

— صدقت .. لندع المزاح . فليس هذا اوانه .. والان اسمع الي .. انك تريد ان تقبض علي بتهمة اني شريك لهوبي بونيانز الذي اعتدى على احد الشرطة في الليلة الماضية على مقربة من هذا القصر .. وانا اعرف باني مذنب في هذه التهمة .. ولكنك تريدني ايضا بتهمة قتل مانويل اوريك والاستيلاء على طيارة حربية سرقتها من مصانع هوكر .. ولكني برئ من هذه التهمة ومن تلك .. وهذا هو ما جعلني اتلهف الى مقابلتك . وهذا هو السبب الذي جعلني اكاد اطير سرورا حين رايت الان وجهك الاحمر الذي لا يزال متورما من اثر لكمتي .. اني اريد ان افضي اليك باسم الرجل الذي

يجب ان تقبض عليه ..

فقال المفتش تيل فى برود :

— انى اعرف اسم الرجل الذى يجب ان اقبض عليه .

فقال تمبلار فى صوت حانق :

— حقا ؟ وهل تعرف ايضا انك الان موجود فى قصره ؟

وبدت امارات الدهشـــة على وجه المفتش تيل وحملق فى تمبلار وتمتم يقول :

— رينوى . ؟

ثم ما لبث أن استرد سكونه فقال فى صوت اجش :

— هل تريد ان تخدعنى مرة اخرى ؟ اهذا هو دليل النفى الجديد الذى تنوى أن تتقدم به ؟

فقال تمبلار فى صوت هادىء :

— نعم هذا هو دليل النفى الجديد ويحسن بك ان تعيرنى سمعك على شرط ان لا تكون ثقيل السمع ! هل تعرف ان رينوى هو الذى سرق الطيارة الحربية من مصانع هوكر ؟

— كلا .. انى لم اعرف ذلك .. ولا اريد ان اعرفه .

— لقد جاء بها الى هنا . وانزلها هنا ورايته بنفسى .. وحسبك ان تلقى نظرة على الحقل لترى اثر العجلات ظاهرا على الارض . وكذلك آثار الصواريخ ليهتدى بها عند النزول واظنك بعد هـذه الادلة لن ترفض ان تصدقنى الا اذا كنت مجنونا اعمى .. وهل تعرف ان لديه غواصة مرساها كهف سرى خلف الصـخور ؟ وان فى الغواصة عددا من قنابل الطوربيد ؟

فقال تيل مقاطعا :

— هل تريد ان ..

— وهل تعرف ان بحارة الغواصة كانوا يقيمون فى قبو سرى تحت هذا القصر ؟ وهل تعرف انهم من سفاكى الدماء

الذين لا يتورعون عن أفظع الجرائم ؟

— هل تريد ان ..

واختتم تمبلار اسئلته المتتابعة بقوله :

— وهل تعرف اخيرا ان هناك ثلاثة ملايين جنيه ذهبـا فى طريقها الان الى باريس على متن احدى الطيارات . وان رينوى قد اتخذ العدة لمهاجمة الطيارة والاستيلاء على الذهب بينما تقف انت هنـا تجادلنى فيما لا نفع فيه حتى تساعد بغباوتك على ارتكاب هذه الجريمة الجريئة .. ؟

وازدرد المفتش تيل ريقه وهو يفكر فى كلمات سيمون تمبلار ..

كانت نبرات تمبلار وهو يتكلم تدل على انه صادق فيما يقول تعبها رنة اخلاص لا يخطئها السمع .

ولكن لا .. ان تمبلار لا يمكن ان يكون صادقا .. هـذه خدعة اخرى من خدعاته وما اراد بحديثه هذا الا ان يهزأ منه كما هزأ من قبل .

وايقن تيل انه قد اخطأ باصغائه الى مزاعم تمبلار ورأى من واجبه ان يضع حدا لهذه الاكاذيب .

فقال متهكما فى صوت يشبه مواء القطط :

— اننى بالطبع اعرف كل هذا .. ولكن هـل هو رينوى الذى اعترف لك بهذه الجرائم .. ؟

فقال تمبلار :

— ان رينوى لم يعترف بعد . ولكنه سيعترف حتما . ومع ذلك فلسنا فى حاجة الى اعترافه .. هل تعلم ان الطيارة التى ستحمل الذهب رقمها « ج ا س و » وانها ستبرح مطار كرويدون فى السـاعة السابعة .. ؟

وتناول تمبلار المفكرة الموضوعة على مكتب رينوى وقال :

— وهل تعرف ان هذا هو خطه ام انك فى حاجة الى انتظار

تقرير خبراء الخطوط .. ؟

ونظر المفتش نيل الى المفكرة التي كان رينوى قد كتب عليها رقم الطيارة عندما انبيء به تليفونيا .

وقال نيل معترضا :

— لا يهمني ان يكون هذا خطه او خطك انت . ؟ سير هرجو رينوى من كبار موظفي وزارة المالية فليس غريبا ان يكون على علم برقم الطيارة فان هذا من مقتضيات منصبه .

فقال تمبلار متهكما :

— حقا .. ؟ وهل من مقتضيات منصبه ايضا ان يعرف الطيار القتيل مانويل اتريك . ؟ ومع ذلك لا يشير الى انه يعرفه بكلمة واحدة حينما ذهب بجثته الى المخفر . ؟

— ومن انبأك بانه يعرف اتريك ؟

فابتسم تمبلار وقال :

— ليس انا على اية حال .. ان الذي انبأني بذلك انما هو اتريك نفسه .

واخرج تمبلار من جيبه الخطاب الذي عثر عليه في خزانة رينوى وقدمه الى المفتش وهو يقول :

— ام لعلك تظن اني زورت هذا ايضا ؟

فكان جواب نيل الذي خيب ظن تمبلار :

— نعم .. ليس بعيدا انك زورته ..

ولكنه كان وهو ينطق بهذه الجملة يتفرس في وجه تمبلار .

وقال تمبلار :

— هيا بنا نتريض قليلا وفي اثناء ذلك يمكنك ان تخبرني برايك في تزوير هذا الخطاب .

ومشى تمبلار الى الباب في هدوء على الرغم من مسدس نيل المصوب اليه . ومن الغريب ان نيل تبعه دون أن يبدي

اى اعتراض وسار في اثرهما السرجنت باروى اذ كان واجبه يقضي عليه بان يتبع نيل حيثما ذهب وان لم يفهم شيئا من الخطة التي ينوى رئيسه اتباعها .

ولما بلغوا القاعة ذات السقف الواطيء اشار تمبلار الى الباب السرى والى النقب الذي احدثه في الجدار وقال :

— في نهاية هذا السرداب غرفة كان يقيم فيها اعوان رينوى السفاكون على غير علم من الخدم وستجد هناك اسرتهم منصوبة وبواقي طعامهم على المائدة .. وفي هذا المكان حبست انا ايضا .. حين عرف رينوى انني لست من اعوانه فاضطررت ان انزع الباب من مكانه لاخرج من محبسي .

ومرت لحظات والمفتش نيل صامت لا يتكلم .. ولكن ما فعله بعد ذلك كان افصح الف مرة مما يمكن ان يقال . فقد وضع المسدس في جيبه ونظر الى تمبلار نظرة ليس فيها شيء من الحقد او الغضب وقال في صوت هاديء يدل على الاقتناع :

— وماذا تعرف غير هذا ؟

— اعرف ان الغواصة قد خرجت الان الى عرض المانش لتنتظر دنو الطيارة . واعرف ايضا ان رينوى الان في الجو على متن طيارته الحربية وان هذه الطيارة مجهزة بالمدافع السريعة التي ستطلق على طيارة الذهب كما انها ملأى بقنابل ستقذف على القوارب التي قد تخف الى مكان الحادث . واعرف ان خطوط التليفون الموصلة الى مطار كرويدون مقطوعة كلها . وكذلك الخطوط التي تصل بين لندن والشاطيء .. واعرف ان في هذا القصر جهازا لاسلكيا اجهل موضعه وان هذا الجهاز سيرسل اشارات مزيفة الى المحطات المختلفة على زعم انها مرسلة من طيارة الذهب حتى لا يدري احد بما حل بها الا بعد ان يصبح تعقب الجناة غير مجد لفوات الوقت .. واعرف اخيرا ان لا امل مطلقا في القيام باي عمل من شأنه

ايقاف هذا الاعتداء ،

فامتقع وجه المفتش نيل وقال :

— الا يمكننا ان نصنع شيئا ؟

فكان جواب تمبلار :

— هنا رجاء واحد .. لا شك انك رأيت طيارة مدنية على مقربة من القصر .. انها طيارتي وهي التي حملتني الى هنا .. ولهذا حكاية اخرى سأقصها عليك فيما بعد .. فهل تسمح لي ان اركب طيارتي والحق بريفوى واحاول ان افسد خطته ؟ لا تقل لي ان هذا معناه الانتحار لانى لا اجهل ذلك ..؟ انى اعلم ان طيارة ريفوى مجهزة بأحدث طراز من المدافع .. اما طيارتى فمدنية ليس فيها قنبلة واحدة .. وهذه المغامرة التى انا مقدم عليها معناها الانتحار . ولكن لا تنس ايضا اننا ان تركنا ريفوى يمضى فى تنفيذ خطته فقد حكمنا بالموت على ركاب طيارة الذهب . ولست أرضى عن نفسى ان اتركهم يقتلون وفى وسعى ان اسعى الى انقاذهم او محاولة انقاذهم بعبارة ادق .

ومرت لحظات ومفتش البوليس السرى غارق فى خواطره وهو يرسل بصره الى الارض محاولا ان لا تلتقى عيناه بعينى تمبلار ..

واخيرا رفع نيل رأسه وقال :

— ايه .. انى لا استطيع ان امنعك .

فابتسم تمبلار وقال :

— واذا انا نجحت فى مهمتى فانك ستنسى طبعا ان هويى يونياتز قد لكم ذلك الشرطى !

وذكر عند هذا جورج وينس الذى طلب الى باتريشيا هولم ان تسرق محفظته وان تترك هناك بطاقة تمبلار فقال :

— واذا ذكرت لك فى مره اخرى اننى لم ارتكب جريمة ما وان الذى ارتكبها شخص آخر استعمل بطاقتى ، فيجب ان تصدقنى .

ومد اصبعه فنخس به كرش المفتش نيل بطريقته المعهودة المثيرة للحنق . ولكن نيل لم يغضب فى هذه المرة لانه كان يعلم ان هذه المزحة قد تكون هى الاخيرة وان تمبلار قد يلقى حتفه فى هذه المغامرة الجديدة التى اقدم عليها بنبل وشهامة ..

وبعد لحظات كان تمبلار جالسا فى مقعده بالطيارة وادار رأسه الى ناحية القصر فرأى المفتش نيل واقفا بالشرفة يرقبه . فلوح له بذراعه فى ابتهاج والطيارة تزحف على الارض مرتفعة فى الجو .

ورأى طيارة متجهة الى الجنوب فرجح انها طيارة الذهب لان هذا هو الاتجاه الذى يجب ان تسلكه . فجال بعينيه فيما حوله بحثا عن ريفوى فلمح طيارته تحوم فى الجو على ارتفاع ستة آلاف قدم .

وضاقت عينا تمبلار وتصلب فكاه وارتفع بالطيارة فى حركة عنيفة حادة وحول شفتيه تلك الخطوط التى تدل على قلة المبالاة ومن نظراته يشع ذلك الوميض الذى ينبىء بأنه رجل مغامر يستهدف لاعظم الاخطار دون ان ينبض فى صدره عرق بالخوف .

ولما اقترب من الطيارة الحربية رأى فوهات المدافع تلمع فى ضوء الشمس . فلم يبعثه ذلك على التراجع وهو يعلم انه مقدم على قتال لا يعتمد فيه على مدفع او قنبلة وانما يعتمد على مهارته ليس الا .

فهو لن يقابل مدافع ريفوى الا بسرعة خاطره وخفة يده وحسن تقديره ..

وضحك تمبلار .. ضحكة رنانة شيطانية .. ضحكة

يتحدى بها الشيطان نفسه .. !

رينوى .. ! انه ذلك الرجل الذى تجاسر واستعمل اسمه فى جرائمه انه الرجل الذى قتل انريك ووضع فى جيبه بطاقة تمبلار .. انه الرجل الذى سرق الطيارة الحربية وترك بطاقة تمبلار على صدر الحارس .. انه الرجل الذى بلغ من جرائته وقحته ان يزعم انه هو سيمون تمبلار .. واخيرا انه الرجل الذى اراد ان يخدع العالم بقبعته العالية المحترمة .

وظل تمبلار يرتفع بطيارته حتى بلغ خمسة آلاف قدم وبدت له الأرض تحته كأنها ممهدة ممسوحة .. وكانت طيارة الذهب لا تزال ماضية فى طريقها وهى تسبح فى الجو تحته على مسافة نصف ميل .. وحدق تمبلار فى جناحها فرأى منقوشا عليه رقمها المعهود « ح ا س و » فلم يعد لديه شك فى ان هذه هى الطيارة التى ينتظرها رينوى ليطلق عليها سيلا من الرصاص .

ولم يكن يجهل ان رينوى قد رأى طيارته وهى ترتفع من مطار القصر فلا شك انه قد توقع حدوث أمر غير منتظر ولعله قد ادرك ان تمبلار فر من سجنه وانه هو الذى استقل الطيارة ليعرقل خطته ويفسد حركاته ..

وتوقع تمبلار ان يهاجمه رينوى .

وصح ما ذهب اليه اذ فى هذه اللحظة وقعت الهجمة المنتظرة ..

فقد اهتزت طيارة تمبلار فجاة فلما ادار رأسه وجد بعض الثقوب فى جناح طيارته الايسر وعلى الرغم من ان لطيارته أزيزا داويا الا انه سمع مع ذلك صوت الطلقات التى اخذت تنهال عليه من مدافع رينوى .

ودار تمبلار بطيارته دورة عنيفة ثم صعد فجاة الى اعلى

ولكنه لم يلبث ان انحدر الى اسفل فى حركة حادة غير منتظرة ..

وبهذه الحركات الفجائية الملتوية استطاع ان يمرق من دائرة النيران المنصبة عليه كالسيل الجارف .

الفصل الحادى عشر

انعطف رينوى بطيارته الى اليسار حتى تكون فوهات مدافعه مسددة الى الهدف ولكن قبل ان يتمكن من ضرب الهدف كان تمبلار قد قام بحركات أخرى جديدة فاضطر رينوى ان يتابعه ومدافعه تطلق النار باستمرار . ولكن تمبلار كان دقيق الحساب قديرا على ضبط حركاته فاذا مال رينوى الى اليمين انعطف هو الى اليسار واذا تحول رينوى الى اليسار عرج تمبلار الى اليمين . واذا هبط ذاك الى اسفل ارتفع هذا الى اعلى ..

وهكذا اخذ يحاوره محاورة عجيبة ليخرج بطيارته من خط النار ..

وانحدر تمبلار الى الاسفل بقوة ومر من فوق طيارة رينوى ثم دار على نفسه واتجه مباشرة الى طيارة رينوى كانما قد تعمد ان يصطدم بها .. وظل ماضيا فى هذا الاتجاه الرهيب حتى اذا صار على قيد شعرة واحدة منها انعطف فجاة محاشيا الاصطدام فنجت الطيارتان من التحطيم بعد أن كان مؤكدا ..

ورأى طيارة رينوى تنحدر الى الاسفل وهى تهتز وتتمايل فابتسم والتمعت عيناه وانحدر فى أثرها مسرعا .

واخذت طيارته تنحدر . وتنحدر . وازيزها يشتد ويتعالى كانما تحمل فى دويها الموت المحتوم . وكانت عضلاته متصلبة وجسمه كأنه قطعة من الفولاذ وانفاسه مبهورة متتابعة . كان

يعلم ان طيارته المجنية لم تخلق لمثل هذا القتال ولا لمثل هذه الحركات البهلوانية . حقيقة انها مزودة بآلات سريعة ولكن جسمها ليس من صنف متين يحتمل صدمات الهواء العاتية .

ولكن لم يكن له مفر من ان يلجأ الى هذه الحركات البهلوانية والى هذه الوثبات لانها هي الوسيلة الوحيدة التي تخرجه من خط النار والتي تمكنه في الوقت نفسه من ان يشغل رينوي عن مهاجمة طيارة الذهب .

ورأى تمبلار الطيارة الحربية تنحدر الى اسفل في خط متعرج فاستنتج ان قائدها قد ادركه الاعياء والتعب وانه لم يعد قادرا على ضبط حركاته .

ولكن الطيارة الحربية ما لبثت ان اعتدلت ورآها تمبلار تبتعد عن سرعة فلما نظر ليستجلي الامر رأى ان طيارة الذهب صارت على مقربة منها وان رينوي انما يتجه بها .

وعرف تمبلار ان المعركة الفاصلة قد دنت : فهل يقف تبتعد بسرعة فلما نظر ليستجلي الامر رأى ان طيارة الذهب ويغرقها بنيرانه فلم يعد هناك مجال للتريث او لتلك المناورات التي تلجأ اليها .

واطلق تمبلار طيارته باقصى سرعتها متجها الى طيارة رينوي حتى اذا دنا منها جعل جناحها هدفه المقصود .

وان هي الا لحظات حتى صدم بمقدمة طيارته جناح طيارة رينوي وعند ذلك ابتسم ابتسامته الجهنمية اذ ايقن ان خطته قد نجحت .

وتمايلت طيارة رينوي واختل توازنها بعد ان انكسر جناحها الايمن .. فاخذت تهبط الى الاسفل بسرعة عجيبة وقائدها عاجز عن ان يضبط حركاتها .

وحاول رينوي ان يتجه بطيارته الى البحر حتى تسقط على سطح الماء . ولكن كان من المستحيل عليه ان يوجهها الى

الجهة التي يريد لان الجناح المحطم كان يفسد عليه حركاته ..

ورأى تمبلار الطيارة الحربية تقترب من الصخور . وذكر عند هذا انها محملة بالقنابل . فاي مصير ينتظرها ياترى ؟.

ولم يكد هذا الخاطر يجري بذهنه حتى كانت طيارة رينوي قد اصطدمت بالصخور .

وتعالى في الجو دوي يصم الاذان حين انفجرت القنابل التي كانت تملأ الطيارة فاشتعلت فيها النيران وارتفع لهيبها الاحمر ..

وبعد لحظات لم يكن باقيا من الطيارة الحربية الا هيكل حديدي ولم يكن باقيا من رينوي واعوانه الا جثث محترقة مشوهة ..

* * *

وقال تمبلار وهو يدخن سيجارته ويحتسي كأسه .

— وكانت الخاتمة سهلة بعد ذلك . فلما تحطمت طيارة رينوي واشتعلت فيها النيران فطنت الى ان الخلل اصاب محرك طيارتي بسبب اصطدامها بطيارة رينوي ولكن الجناحين كانا سليمين . فاستطعت أن أوجهها الى البحر فسقطت بي على سطح الماء .. وخف نيل الى نجدتي . فعدنا الى الشاطىء مسرعين ووقفنا في انتظار بحارة الغواصة عند باب الكهف فلما صعدوا أحطنا بهم مع بعض رجال البوليس وقبضنا عليهم .

وتنهدت باتريشيا هولم وقالت :

— من الغريب انك استطعت ان تخرج حيا من هذه المعركة ..

فابتسم تمبلار وقال :

— وقد خرجت منها بشيء آخر خلاف الحياة .

— وما هو . ؟

— مائة الف جنيه .

فحملقت فيه باتريشيا دهشة وقالت :

— هل هى مكافأة اعطاها لك تيل لانك انقذت الذهب ؟

— كلا . ولـكننى مررت بقصر رينـوى فى عودتى وفتحت خزانته واستوليت على الاوراق المـالية التى رايتهـا فيهـا من قبل . .

وكان هوبى بونباتز يسمع الى هذه القصـة الغريبة . . وبطبيعة الحال لم يدخل الى دماغه المصفحة شيء من تفاصيلها . ولكنه على الاقل فهم شيئا واحدا فقال :

هل حقيقة ايها الرئيس ان المفتش تيل لن يقدمنى الى المحاكمة بسبب اعتدائى على الشرطى . ؟

— نعم . اطمئن يا هوبى . فقد اقنعته بالصفح عنك .

— ولكن كيف استطعت ان تقنعه ايها الرئيس . ؟

فنظر تمبلار الى باتريشيا وتنهد وهمس فى اذنها قائلا :

— ان المسكين لم يفهم بعد كل هذه الحكاية الطويلة العريضة كيف استطعت ان اقنع المفتش تيل . ؟!

وبدا تمبلار يضحك ثم قال مخاطبا هوبى :

— لقد صفح عنك تيل لاننى استحلفته بامه . !

وفى تلك اللحظة دق جرس الباب . ثم دخل المفتش تيل وهتف تمبلار قائلا :

— تيل . . ! انت هنا . ! لقد كنت الان احدث هوبى بونباتز عن امك . . !

ومشى تيل الى وسط الغرفة ووقف يتفرس فى وجه تمبلار برهة ثم قال فى صوت اجش يشبه نباح الكلاب .

— حقا . ! انى فقد كنت تحدثه عن امى . ! ولكننى لم احضر من لندن لكى اسمع رايك فى امى وانما حضرت لاعرف

رايك فى جريمة جديدة وقعت صباح اليوم .

فقال تمبلار متظاهرا بالدهشة :

— جريمة جديدة . . !

— نعم . فقد سرقت من رجل يدعى ويفنس وهو نائم فى بيته محفظة فيها ثلاثة آلاف جنيه . فلما استيقظ لم يجد المحفظة وانما وجد . .

فقال تمبلار متمما :

— بطاقة عليها اسم سيمون تمبلار طبعا . . !

فقال المفتش تيل :

— هو ذاك . فهل تنكر انك انت الذى سرقت ويفنس . ؟

فقال تمبلار وعيناه تشعـلان بذلك الوميض الهازىء غير المكترث :

— انى اعترف بانى انا الذى سرقت ويفنس ، كما اعترف بانى انا الذي قتلت الطيار مانويل انريك ! وانى انا الذى سرقت الطيارة الحربية . ! فهل يرضيك هذا الاعتراف ؟

فتنهد المفتش تيل فى يأس وقال :

— ايه . . سأقتنع بانكارك فى هـذه المرة على الاقل ، اعترافا منى بحسن صنيعك فى مسألة الذهب .

فابتسم تمبلار وقال :

— الحق يا تيل ان هـذه اول مرة اراك فيهـا تتصرف بذكاء . . !

ومد أصبعه لينخس به كرش المفتش تيل ولكن هـذا كان قد وثب الى الخارج مسرعا قبل ان يلحق به تمبلار .

القسم الثاني
الثورة
الفصل الاول

تقع جمهورية بسالا فى امريكا الوسطى وتشغل من الارض رقعه لا تزيد مساحتها على عشرة آلاف ميل مربع . اما سكانها فيبلغون العشرين الفا ، والحركة التجارية هناك على غاية من الكساد فلا يعرف احد على وجه التحقيق ما تستورده تلك البلاد . اما صادراتها ، اذا خلع الاهالى رداء الكسل ، وفكروا فى ان يصدروا شيئا ، فعبارة عن الارز والاذرة وقصب السكر . واخيرا زيت البترول .

وبعد نصف ساعة من هبوط سيمون تمبلار فى ميناء تلك الجمهورية المعروف باسم سانتا ميرانداتال يخاطب صاحبه آركيبالد شريدان :

— والان اسرع يا آركي وحدثنى بما تعلم عن حكاية البترول . ولكن دع حديث مغامراتك مع النساء فليس هذا اوانه . انى اريد ان انتهى من هذه المسالة حتى اتمكن من العودة الى انجلترا فى اواخر شهر مايو اذ اننى مرتبط بموعد هام . فالوقت ضيق كما ترى ..

ومد شريدان ساقيه امامه وهو جالس فى مقعده وتناول كاس الويسكى الممزوج بالصودا المثلجة ورشف منه جرعتين او ثلاثا ثم قال :

— لقد شرحت لك المسالة كلها فى رسائلى وبرقياتى . ولكننى مع ذلك سأسردها عليك مرة اخرى فى شكل منسق مرتب . والحكاية تبدا بهذا الشكل .. من ثلاث سنوات تقريبا جاء الى تلك البلاد مهندس اسكتلندى يدعى ماك اندرو

ومضى الى التلال على مسافة خمسين ميلا فى الداخل واخذ ينقب فى الارض بحثا عن منابع البترول . وقال عنه الناس انه مجنون معتوه ولكنه رجع بعد ستة شهور يحمل معه عينات من البترول الذى اهتدى اليه . وذكر للناس انه عثر على منبع يعد من اغنى المنابع وانه لا يبعد عن سطح الارض باكثر من مائة قدم . فمنحته الحكومة امتيازا على تلك الاراضى وابرق الرجل الى انجلترا يستدعى ابنته ولبث هنا ينتظر قدومها ووصول الالات التى اوصى عليها .

فقال سيمون تمبلار :

— وهل حضرت الفتاة ؟

فاسترسل شريدان يقول :

— نعم .. وهى هنا الان . ولكنك اوصيتنى بان لا اتكلم عن النساء . ومع ذلك فاننى لم اصل بعد الى دورها فى هذه القصة . اما البطل الثانى فرجل يدعى شانيت لا يعلم احد من اين جاء واية داهية قذفت به الى تلك البلاد . ولكن الامر الذى لا خفاء فيه ان شانيت كان موجودا هنا قبل وصول المهندس الاسكتلندى وكان الناس يزدرونه ويحتقرونه ولا يثقون به . ولما كان ماك اندرو مطبوعا على الشذوذ معروفا بغرابة الاطوار فقد خالف الناس فيما اجمعوا عليه واتخذ شانيت رفيقا له . واكثر من هذا انه اتخذه شريكه كانما اراد ان يتحدى الراى العام فى هذا الرجل . وهو معذور على اية حال لانه كان فى حاجة الى شخص يركن اليه ويساعده فى عمله ولا نكران ان شانيت رجل موهوب معروف بالنشاط . ورحل الرجلان معا الى التلال ليفحصا منابع البترول عن كثب . وبعد فترة من الوقت رجع شانيت وحده اما المهندس الاسكتلندى فلم يرجع مطلقا . وقال شانيت معللا عدم رجوعه ان حية لدغته

نقضت عليه على الفور ..

واشعل تمبلار سيجارة اخرى واستطرد شريدان قائلا :

ــ اما انا شخصيا فاعتقد ان هذه الحية ليست الا شانتيت نفسه . وهذا ايضا هو راى ليلا ابنة ماك اندرو . ومما عزز هذا الراى ان شانتيت ابرز اتفاقا معقودا بينه وبين ماك اندرو . نصا فيه على انه فى حالة وفاة احد الشريكين تنتقل كل حقوقه الى الثانى . واعترضت ليلا على ذلك قائلة ان اباها الذى يحبها اعمق الحب لا يمكن أن يوقع اتفاقا كهذا ينساها فيه ويحرمها من حقها كوريثة شرعية له . والقت الفتاة نظرة على العقد ثم راحت تؤكد ان توقيع ابيها مزور .

وقال شانتيت دفاعا عن موقفه ان ماك اندرو حين امضى هذا الاتفاق كان مصابا بالملاريا وهذا هو السبب فى أن الخط يبدو مهتزا غير ثابت . ولكن الفتاة لم تقتنع بهذا الدفاع ورفعت شكواها الى المحكمة وبذلت فى تأييد موقفها جهدا جبارا .

ولكن شانتيت اتصل بالقاضى وحشا جيوبه بالمال فى سخاء وكرم فكانت النتيجة ان خسرت المسكينة القضية . وقد وصلت انا الى تلك البلاد عقب الحكم برفض دعواها .

ــ وماذا تم فى جثة ماك اندرو .. ؟؟

ــ لقد قال شانتيت انه دفنها على مقربة من الطريق . ولكن طرق الغابات كما تعلم ليست واضحة المعالم ظاهرة الحدود . اذ لا تلبث الريح ان تسفى عليها الرمال لتغير رسومها ويختفى القبر من موضعه فى خلال اسبوع او اسبوعين . وهكذا قال شانتيت انه لم يتمكن من الاهتداء الى القبر ثانية . وقد سافرت انا بنفسى الى الجهة التى قال انه دفن فيها ماك اندرو ولكننى لم اوفق الى شئ .. وكل ما خرجت به من هذه الرحلة رصاصة اطلقت على من الخلف واصابت قبعتى .. ولم اعرف طبعا من الذى اطلقها ولكننى اراهن بكل ما املك على

انه شانتيت او احد ماجوريه .

وقال سيمون تمبلار متمما قصة صاحبه :

ــ وبعد ذلك راى شانتيت ضرورة الاستعانة بمن يشد أزره فباع اسهم الشركة الى صديق له فى لندن هو صاحبنا هوجو كلمبارد السمسار المعروف والمحتال المشهور والذى يوزع على المغفلين والبلهاء اسهم الشركات غير المعروفة ..

فقال شريدان :

ــ ولكنه فى هذه المرة انشا اول شركة حقيقية فى تاريخه الحافل بالخداع والتضليل وهى شركة « بمسالا لمنتجات البترول » .. ولاطمئنانه الى مركزها المالى المتين لم يعرض اسهمها فى السوق واحتفظ لنفسه بستين فى المائة منها .

ونحى تمبلار سيجارته عن فمه ونفث خيطا طويلا من الدخان ثم تمتم فى صوت خافت وهو يتابع بعينيه حلقات الدخان التى كانت ترتفع ملتوية الى سقف الغرفة ..

ــ اذن .. فهذه هى المشكلة التى استدعيتنى يا ارنى لكى احلها .. هذا بديع جدا .. ان هذه المهمة على اية حال تسلية ممتعة تبعدنى عن جو لندن وعن كرش المفتش تيل .. ولكن حدثنى اولا عن الاحوال السياسية فى هذه البلاد ..

فابتسم شريدان وقال :

ــ ان الجو السياسى هنا مضطرب بالغيوم كما هى العادة دائما فى جمهوريات امريكا الوسطى .. والرشوة هى الحاكمة بامرها فى هذه البلاد .. والرجل الذى يحكم بصفة فعلية ليس فى الواقع رئيس الجمهورية لانه رجل لين العريكة سلس القيادة وهو خاضع لتاثير وزير الداخلية الذى يرى من الحكمة ان يظل مختفيا خلف الستار حتى يامن على نفسه اعتداء الثوار . لان رؤساء الجمهوريات هم فقط المعرضون لمثل هذه الاعتداءات اما وزراء الداخلية فيعيشون عادة فى امن وسلام .

اما وزير الداخلية فيدعى مانويل دى فيلجا وهو بدوره خاضع لرغبات شانتيت واوامره ونواهيه . وهو مدين بمنصبه هذا الى اموال شانتيت . فلو ان شانتيت حبس عنه المال لسقط عن كرسيه على الفور .

ونهض نمبلار واقفا واستند بمرفقيه على سياج الشرفة .

كان الوقت اذ ذاك بعد الظهر بقليل وقد اشتد القيظ حتى بلغ مقياس الحرارة مائة درجة واثنين . وكان نمبلار يرتديا بذلة بيضاء من قماش خفيف . فبدا فيها متألقا حسن الهندام حتى ليمكن ان يقال ان سانتا ميراندا لم تر فى خلال السنوات الاخيرة من هو اظرف منه مظهرا .. ولا من هو اقل منه اكتراثا ..

وجعل شريدان ينظر الى نمبلار متأملا . واثار تقوطه ما رآه ظاهرا عليه من الاناقة والعناية بالهندام وترجيل الشعر .. فقال فى نفسه :

ـ يا الهى ايصلح هذا الرجل للقيام بهذه المهمة الخطيرة .. وهيئته تدل على انه لم يخلق الا للاناقة كأنه عروس تتجمل فى ليلة زفافها .. ؟

والتفت اليه نمبلار فجاة وقال يسأله :

ـ والان حدثنى عن البيض الذين يقيمون فى تلك البلاد .؟

فكان الجواب :

ـ هناك رجل ارلندى يدعى كيلى عريض المنكبين مديد القامة كأنه مارد او عملاق . وفيه من طباع الارلنديين الاندفاع وسرعة التهيج .. وهناك زوجته ايضا .. اما ليلا مالك تدرو فهى ثالثة البيض وتقيم مع كيلى وزوجته .. والرابع والخامس رجلان من التجار لا يكادان يفيقان من نشوة الخمر وليس ثمة ما يدعونا الى ان نحسب لهما حسابا .. اما السادس فهو شانتيت .. وهؤلاء هم كل البيض الموجودين فى هذه البلاد ..

وادار نمبلار رأسه وجعل يتأمل سفح التل . وكانت الشرفة التى يقف فيها تطل على سانتا ميراندا فتنكشف للعين بيوتها البيضاء المشيدة على الطراز المورى .. وهناك على منحدر التل انتشرت اكواخ اخرى تشرف على المدينة .. اما خلفها فيمتد البحر بمياهه الزرقاء التى تنعكس عليها اشعة الشمس المتوهجة ..

ومضت فترة من الوقت ونمبلار يتأمل هذه المناظر ثم التفت الى آرثر شريدان وقال له :

ـ ان شانتيت قاتل بلا شك . ولكنه لا يهمنى الا قليلا .. اما الذى يثير اهتمامى بنوع خاص فهو كامبارد السمسار .. ولكنى لن اصل اليه الا عن طريق شانتيت .. والواقع اننى دهشت كثيرا حين بلغنى انه ساهم فى شركة بسالا لمنتجات البترول وشعرت بان فى الامر شيئا كنت على يقين من ان تحقيقك سيفسر عن شيء ما . ولكنى لم اكن اتوقع مطلقا ان تكون منابع البترول هذه حقيقة الا بعد ان ارسلت الى برقيتك الاولى .

وسكت نمبلار برهة ثم اردف قائلا وهو يفرك كفيه :

ـ الحق اننى لم اجابه فى حياتى مشكلة سهلة الحل الى هذا الحد ..

فقطب شريدان حاجبيه وقال مستغربا :

ـ سهلة الحل .. ؟ انه ليسرنى ان اسمعك تقول هذا .. ولكن كيف تراها سهلة وحقوق شانتيت ثابتة تؤيدها احكام المحاكم وحق الامتياز مودع الان فى لندن فى مكتب كامبارد ومسجل من الوجهة القانونية تسجيلا كافيا .. وكيف تكون هذه المشكلة سهلة والحكومة القوية بين يدى شانتيت وهى رهن اشارته بكل ما يضمها من قوات البوليس والجيش .. ما دام يحشو جيوب وزير الداخلية بالاموال التى يرسلها

اليه كامبارد . فهل بعد كل هذا تسميها مشكلة سهلة .. ! هل انت معتوه يا رجل .. ؟

وكان تمبلار واقفا ويداه فى جيوبه وقامته ممدودة فى الظل وعيناه تشعان بذلك الوميض غير المكترث وعلى شفتيه ابتسامة النضال والتحدى .

وقال تمبلار فى هدوء وهو يتثاءب :

— لقد قلت انها مشكلة سهلة ..

فلوح شريدان بيده فى يأس وقال :

— تمبلار .. هل اثرت حرارة الجو على اعصابك فافقدتك الوعى . انى اعذرك اذ لا شك انك اصبت بضربة الشمس ولست معتادا عليها .. فاذهب بالله عليك واغسل راسك بالماء البارد ثم عد الى بعد ساعة او ساعتين لنتداول فى الامر ..

— وكم عدد الجيش .. ؟

— خمسمائة جندى على راسهم سبعة عشر قائدا وخمسة وعشرون كولونيلا ونحو خمسين ضابطا صغيرا .. واذا كانت راسك تؤلمك فارقد على هذه الاريكة واغمض عينيك فتتحسن صحتك بعد ساعة او ساعتين ..

— حدثنى عن المدفعية .. ؟

— ثلاثة مدافع تحملها البغال .. هل انت فى حاجة الى بعض اقراص الاسبرين .. ؟

— ومم يتكون الاسطول .. ؟

— لنش بخارى واحد فيه مدفع صغير من عيار ست بوصات . اما البحارة فعددهم سبعة يتولى قيادتهم ضابطان .. ولكن الا ترى من المستحسن ان تترفق بصحتك وان تكف عن الكلام الان .. ؟ انى ساعد لك الفراش ويمكنك ان تنام ساعة كاملة قبل ان يحل موعد الغداء ..

— وكم عدد رجال البوليس .. ؟

— فى سانت ميراندا اثنا عشر كونستابلا على راسهم ثلاثة ضباط .. هل تريد ان آتيك بقطعة من الثلج تضعها على راسك عساها ان تخفف هذه الحمى التى انتابتك من تاثير الشمس ؟

فابتسم تمبلار وقال :

— لا تظن اننى اهذى .. ان حديثى هو عين الحكمة والصواب .. ان حل هذه المشكلة انما هو فى يد الحكومة .. الحكومة وحدها هى التى تستطيع ان تجرد شانيت من حق الامتياز وتعيده الى ليلا صاحبة الحق الاصلى فيه .. ومن الغباوة ان نضيع اموالنا فى محاولة رشوة هذه الحكومة . وفضلا عن هذا فاننا ان فعلنا ذلك وضعنا انفسنا موضعا محفوفا بالخطر فقد ترفض الحكومة الرشوة المقدمة اليها او قد تاخذها ومع ذلك تأمر بزجنا فى السجن .. فالحل الوحيد اذن هو ..

— هو ماذا . ؟

فكان جواب تمبلار :

— الحل الوحيد هو . ان نسقط هذه الحكومة بالثورة .. وفى الحال . لاننى لا استطيع ان ابقى هنا طويلا . فهيا اهتف معى يا صاح : فلتحى الثورة . !

فقال شريدان وقد استولى عليه اليأس :

— واين هو جيش الثورة الذى سيتولى اسقاط الحكومة ؟ ان هذه الدولة هى البلاد الوحيدة فى امريكا الوسطى التى لم تنشب فيها ثورة من قبل اذ ليست لدى الاهالى الشجاعة الكافية التى تمكنهم من القيام بثورة .

فقال تمبلار فى صوت هادىء :

— نحن زعماء الثورة . ونحن ايضا الجيش الثورى ..

وبعد الغداء سنذهب الى مقابلة الايرلندى كيلى ونضمه الينا .. فاذا لم نستطع نحن الثلاثة ان نهدم جيش الحكومة المكون من ستمائة رجل فانى لست أدعى بسيمون تمبلار .. فاما ان اهزم هذا الجيش واسقط الحكومة واما ان اطلق مهنة القتال واقبع فى البيت احيك الثياب وارضع الاطفال كالنساء .. !

الفصل الثانى

لما قارب الغداء على الانتهاء كان تمبلار لا يزال مسترسلا فى الحديث محاولا ان يقنع صاحبه بصواب رايه وكان يقول :

— يا عزيزى ان المسألة سهلة للغاية . وانا لا امزح وانما اتكلم جديا أن الرجل الذى يستطيع ان يحرك هذه الحكومة ويبسط نفوذه عليها انما هو الرجل الذى يتولى شركة بسالا لمنتجات البترول . وشاليت فى الحاضر هو ذلك الرجل . ولكننا سنلجأ الى خطة خير من هذه . اننا لن نكتفى بأن نحرك الحكومة وانما سنكون نحن الحكومة نفسها .. هل ترى خطة أبسط من هذه او اقرب الى العقل .. ؟

فقال شريدان وقد امتلأ قلبه قنوطا ولم يعد له رجاء فى صاحبه :

— بل ان خطتك هذه هى عين الجنون . ومع ذلك فيمكنك أن تستمر فى حديثك ولا تبالى بشعورى .

فتمتم تمبلار قائلا :

— فليباركك الله يا آركى . يظهر ان اقامتك ثلاثة شهور فى هذا الجو القاتل فى صحبة ليلا ماك اندرو قد افقدتك شجاعتك المعروفة فانحدرت الى مستوى هؤلاء الاهالى الوادعين المستكينين الذين كنت تتحدث عنهم الان فى احتقار

وازدراء . قد يكون فى الخطة التى اشير بها شىء من الجراة ولكنها الخطة الوحيدة الممكنة . وقبل ان اسمع منك تفاصيل القصة كلها خطر لى ان خير ما تفعل فى هذا الصدد ان تستولى على مكتب التلغراف وان ترسل الى كامبارد فى لندن برقية منسوب صدورها الى شاليت تخبره فيها ان الحكومة ستحلت وان الامتياز الغى وان السبيل الوحيد الى النجاة هو ان يسرع الى عرض اسهم الشركة فى الاسواق ليتخلص منها ولو بابخس الاثمان . وفى خلال ذلك نعهد الى صديقنا روجر بان يشترى سرا كل ما يعرض للبيع من اسهم شركة بسالا . ولكننى بعد تمحيص هذه الفكرة لم البث ان نبذتها .

— وما الذى جعلك تعدل عن هذا الراى ؟

فقال تمبلار مجيبا :

— انك تنسى الفتاة . انها هى صاحبة الحق الاصلى فى هذه الشركة ولكنها لن تستفيد من هذا الراى الذى خطر لى ورجعت عنه الا بضعة آلاف جنيه هى الفرق بين الثمن المنخفض الذى سيبيع به كامبارد الاسهم وبين الثمن المرتفع الذى ستبيع به الاسهم ثانية بعد أن يتضح ان حديث الثورة مختلق . نعم فى هذه الحالة ستخرج بفرق الثمن كما قلت . ولكن منابع البترول ستظل باقية فى يد كامبارد اذا ما استرد الاسهم . وليس المطلوب بضعة آلاف من الجنيهات وانما الغاء حق الامتياز وتجديده باسم الفتاة . وهذا هو الذى يدعونى الى اسقاط الحكومة الحالية . وعند ذلك اعين كيلى صديقك الايرلندى الأحمق وزيرا للداخلية . الا اذا كنت انت طامعا فى هذا المنصب .

فهز شريدان رأسه وقال :

— كلا .. شكرا لك .. ان المناصب الوزارية لا تلائمنى .. فارجوك أن تدعنى بسلام .. !

واشعل تمبلار سيجارة وقال فى بساطة :
— فى هذه الحالة يمكننى ان اعين كيلى وزيرا للداخلية دون تردد . ولكن الشىء الوحيد الذى ينقصنى الان هو: الطريقة التى يمكن بها اشعال نيران هذه الثورة .
فضحك شريدان ساخرا وقال :
— اذن — فقد اسقطت الحكومة القائمة وعينت الوزراء الجدد . ولكن فى الخيال لانك حتى الان لم توفق الى طريقة القيام بالثورة . ! صدقنى يا عزيزى تمبلار انك كالرجل الذى يشترى حدوة لان فى نيته أن يبتاع حصانا . !
فقال تمبلار باسما :
— ولكننى لن البث ان اجد الحصان . !
واردف تمبلار يقول فى صوت حالم كانه يفكر :
— ليت شعرى كيف تقوم الثورات . ! انهم فى المدرسة لم يعلمونى القواعد اللازمة لذلك . هل يدخل الانسان مثلا الى قصر رئيس الجمهورية ويصيح فى اذنه : سيدى الرئيس. تفضل بالخروج واغلق الباب من الخارج من فضلك . ! فيطيع الرئيس هذا الرجاء ويترك مقعده لسواه . أم ماذا يفعلون . ؟
فقال شريدان :
— يمكنك ان تفعل هذا فاننى على الاقل استطيع فى هذه الحالة ان انقذك من المشنقة باعتبارك معتوها لا تدرى ما تقول . !
فهتف تمبلار وقال :
— يا عزيزى آركى . انك ستملأ نفسى يأسا . اذ اراك لا تحاول ان تمد الى يد المساعدة .
— انى على استعداد لمساعدتك على شرط ان تدع المزاح جانبا .

— ولكننى لا امزح .
فحملق فيه شريدان وقال :
— لا تمزح . ! هل تريد ان تقول ان هذا الهذيان حديث جدى ؟
فاجابه تمبلار فى صوت رصين :
— اننى لم اكن فى حياتى اقرب الى الجد منى الان . اتظن ايها الابله العزيز انى ارضى ان اضيع وقتى فى هذا الحديث لولا انى اقصد جديا ما اقول .
وحملق شريدان للمرة الثانية فى وجه تمبلار . وهم بان يتكلم متهكما مستنكرا . ولكنه لم ينطق بالكلمات التى تبادرت الى لسانه .
لقد راى سيمون تمبلار يبتسم . وكانت ابتسامة لا يجهل شريدان معناها . ابتسامة النضال والتحدى والاستخفاف بالاخطار .. ولكنها لم تكن قط ابتسامة المزاح والدعابة .
وادرك شريدان على الفور انه اخطأ فيما ذهب اليه . ان تمبلار لم يكن يمزح حين تحدث عن اشعال نيران الثورة فى البلاد . وكل ما هنالك انه كان يمزج الهزل بالجد كما هو دابه دائما .
واشعل شريدان سيجارته وهو صامت لا يتكلم .
وقال تمبلار يسأله :
— والان .. ما هو رايك ؟
فكان جواب شريدان :
— رأيى انك شيطان من الجن .. ولكن اذا كنت تنوى حقيقة ان تنتحر بهذه الطريقة فثق ان آركيبالد شريدان سيبقى الى جانبك ولن يتخلى عنك .. وسيحمل بيديه كل ما يقوى على حمله من القنابل .. انك بطبيعة الحال لم تنس القنابل .

فاجابه تمبلار فى بساطة :

ـــ فلندع القنابل الان فانها لا تتفق والخطة التى انــوى ان اتبعهـــا .

ثم اردف قائلا :

ـــ والان .. فلنتكلم جديا .. متى واين يمكننا ان نقـــوم بالثورة ؟

وكانا جالســين متواجهين الى مائدة صغيرة عليها اقداح الشراب وكان تمبلار موليا ظهره الى باب الشرفة المتصـــلة بالحديقة والتى تطل على الطريق .

وقال شريدان وهو ينظــر الى الخـــارج من فوق كتف تمبـــلار :

ـــ قم بها فى اى وقت واى مكان شئت .

ورأى تمبلار فى وجه شريدان معنى لم يخف عليه . فقال له فى صوت خافت دون ان ينظر خلفه :

ـــ من القادم ؟

ـــ شانتيت نفســه .

فاغمض تمبلار عينيه نصف اغماضة وهو يقول :

ـــ انتظر قساهزا منه واجعله لا ينسى هذا اللقاء !

واذ ذاك سقط على المنضدة ظل القادم . ولكن تمبلار لبث فى مقعده لا يتحرك كانما هو غارق فى النوم .

وقال اركى شريدان :

ـــ طاب يومك يا شانتيت .. وهيا اسرع وحدثنى عمـــا جاء بك قبل ان ابادر بطردك .

فقال شانتيت فى صوت اجش :

ـــ اسمع يا شريدان .. انك لست انت الذى تطردنى بل انا الذى ســـاطردك .. لقد جئت لانذرك بأن الباخرة « اندالوسيا » ستقلع فى المســـاء . وقد مضى وقت طويل

وانت فى هذه البلاد دون ان يكون هناك مبرر لبقـــائك .. فهل فهمت ما اعنيه ؟

فصاح شريدان فى صوت كالرعد :

ـــ ومن الذى خولك الحق فى طردى . ؟ هل عينت رئيسا للجمهورية ؟

فقال شانتيت مجيبا :

ـــ انك لا تجهل من انا . ولا تجهل ان رغباتى لا ترد . انك ستسافر الليلة فى الباخرة « اندالوسيا » رضيـــت او كرهت . فاذا ابيت فستنقل اليها مكبلا بالاغلال . وهـــذا كل شىء . ولكن .. من هذا ؟

وادرك تمبلار انه لابد ان يكون هو الشخص الذى يسأل عنه شانتيت اذ ليس فى الغرفة سواه . ففتح عينيـــه وادار راسه فى كسل ليتمكن من رؤية الزائر الواقف خلفه .

فرأى رجلا طويل القامة عريض المنكبين متوسط العمـــر يرتدى بذلة بيضاء ترك جاكتتها غير مزررة ليظهر منها جراب المسدس .. وكانت لحيته نامية تدل عن انه لم يحلق منـــذ يومين . وكان شعره ملبدا بالاوساخ وغير مرجل .

وحملق تمبلار فى وجه شانتيت وهتف قائلا :

ـــ يا الهى . ! هل هذا مخلوق بشرى . ؟

فبان الغضب فى وجه شانتيت وازاح جاكتته قليلا ووضع يده على جراب المسدس وقال :

ـــ ما اسمك ايها الاحمق . ؟

فنفض تمبلار رماد سيجارته ونهض واقفا وقال مجيبا فى صوت رقيق :

ـــ انى ادعى لويس السادس عشر . ! ولكن من انت . هل انت « الزبال » الذى يجمع القمامة فى هذه المدينة . ! ام

لعلك انت القمامة نفسها وقد تجسدت فى شخصك القذر .. اننى آسف لذلك .
فقال شانتيت فى صوت غاضب :
ــ هل تظن انك ..
فاستطرد تمبلار بنفس الصوت الهادىء غير المكترث :
ــ لقد قلت لك اننى آسف . اذ لا احب ان اشتبك فى معركة الا مع من اختارهم على مزاجى . ! ولهذا يؤسفنى أن ارانى مضطرا الى ان ادنس يدى بلمسك .
فصاح شانتيت مزمجرا :
ــ اننى لا اعرف من انت . ولا يهمنى ذلك . ولكن اذا كنت تنشد معركة فستنال ما تبغى .
فقال تمبلار وهو يتثاءب :
ــ نعم .. انى انشد معركة ايها الصديق العزيز .. بل الواقع اننى انشد معارك كثيرة .. وستكون انت اول خصم لى .. لقد وصفتنى باننى احمق .. وهذا الوصف لا يعجبنى ايها الخنزير الظريف .. !
ونطق تمبلار بهذه الجملة الاخيرة باللغة الاسبانية التى لا ينطق بها الا الرعاع . واممتقع وجه شانتيت ثم احمر غضبا وصـاح قائلا :
ــ كيف تجرؤ ايها ..
ولكن الشتائم التى اوشكت ان تنهال من فمه على تمبلار تقمصت فجأة على شكل لكمة سددها بعنف الى فك ميمون تمبـلار .
وكانت هذه اللكمة خليقة بان تضع حدا لهذه المناقشـة لو انها اصابت هدفها ..
ولكنها لم تصب الهدف .. !
فقد رد تمبلار براسه الى الخلف فى حركة سريعة فتفادى

هذه الضربة العنيفة . واختل توازن شانتيت حين تطوحت يده فى الهواء ومال بجسمه الى الامام وكاد يسقط على وجهه.
واسرع تمبلار فتناول الدلو المملوء بالماء المثلج والذى كان موضوعا على المنضدة لتبريد زجاجات الخمر . وصب الشطر الاكبر من محتوياته فى قفا شانتيت .
وتراجع شانتيت الى الخلف ولكن تمبـلار عاجله بضربة قوية جعلته يترنح .
وهنا صاح شريدان محذرا صاحبه :
ــ احترس .. !
فقد راى شانتيت يخرج مسدسه .
فتمتم تمبلار فى استخفاف :
ــ انك طفل شرير . !
وفى قفزة واحدة كان تمبلار قـد انقض بغريمه على الارض وانشب اصابعه الفولاذية فى عنقه ولوى ذراعه بلا رحمـة حتى تراخت عضـلاته . فسقط المسـدس على الارض فى الوقت الذى ارسل فيه شانتيت صرخة الم موجع .
وانحنى تمبلار فالتقط المسدس وهو يقول :
ــ احتفظ بهذا يا شريدان لنضمه الى المجموعة المعهودة .. مجموعة المسدسات التى لم اقتل بها بعد فهى تملأ متحفا فى دارى .. والان فلنعد يا شانتيت الى ما كنا فيه . !
واجاب شانتيت على هذا التحدى بمقعد قذفه على تمبلار بكل قوته . ولكن حين اصطدم المقعد بالجدار المقابل كان تمبلار على مسافة عشرة اقدام على الاقل .. ؟
وهجم شـانتيت على غريمه وهو يسدد اليه لكمـاته .. وكانت لكمات جبارة لو انها اصـابت ثورا لصرعته ، ولكن تمبلار كان خبيرا بفن النزال واساليب المراوغة والمحاورة . فما انقض عليه شانتيت الا انعطف تمبلار يمينا او يسارا او

انحنى الى اسفل أو تراجع الى الخلف .. وتفادى الضربة القاتلة . فاذا ما ترنح شانيت لاختلال توازنه وكاد يسقط الى مكانه عاجله بلكمة سريعة صائبة .

واخيرا وضع تمبلار يديه فى جيوبه ولم يعد يهتم حتى بأن يضرب خصمه واكتفى فى النضال بأن يتقى لكماته بحركات رشيقة خفيفة من رأســه او بدنه كأنه راقص يعرض على الجمهور رقصاته التى تستند الى خفة الحركة .. !

واخيرا وقد بلغ الاعياء من شانيت مبلغه كف عن تسديد هذه اللكمات الطائشة المتعبة واستند الى الجدار وجبينه يتصبب عرقا وانفاسه تتتابع مبهورة لاهثة .

وقال تمبلار وابتسامته التهكمية لم تزايل شفتيه لحظة واحدة :

اتريد أن تستريح قليلا ؟ لا بأس . واليك هذا تجفف به عرقك ؟

اما « هذا » فكان بطانية كبيرة تناولها تمبلار من فوق الاريكة والقاها عند قدمى شانيت وهو يقول ساخرا :

ــ ان المنديل لا يكفى لتجفيف عرقك الذى ينحدر كالسيل.

فجمع شانيت انفاسه وقال وهو يلهث :

ــ لو انك تجاسرت فقاتلتني كما يتقاتل الرجــال لفتكت بك .

فاجابه تمبلار فى لهجة الرجل الذى استولت عليه السآمة:

ــ آوه .. لا تكن غبيا .. ! والآن اسرع بالانصراف فاننى مشغول .

ولكن شانيت صاح به :

ــ بل انصرف انت .. أ هل سمعت .. ؟ اننى ذاهب الآن لكى استدعى رجال البوليس .

فجلس تمبلار على احد المقاعد وقال فى صوت هادئ :

ــ اصغ الى يا شانيت .. خير لك ان لا تتكلم عن البوليس ما دمت انا موجودا .. اننى أعتقد اعتقادا جازما انك قتلت رجلا يدعى مالك اندرو منذ زمن غير بعيد وادعيت انك وريثه مستندا الى عقد اتفاق مزور . وقد جئت الى هذه البلاد لاجمع الادلة التى تكفى لادانتك .. فحقيقة أن مما يشبه المستحيل أن تقدم حكومة هذه البلاد على شنق الرجل الذى يدفع لها نصف مرتباتها .. ولذلك لن اتردد اذا ما تهيأت لى هذه الادلة فى ان اشنقك بنفسى باسم العدالة والقانون .

ومرت لحظات والصمت يسود المكان ولكن كان واضحا ان الجو مكهرب وانه ينذر بعاصفة داوية .

وكان تمبلار يتفرس فى وجه شانيت بعينيه النفاذتين القاسيتين .

واخيرا ارسل ضحكة قصيرة وقال فى استخفاف وقلة اكتراث :

ــ ومع ذلك فان من الحماقة ان أضيع فى التحدث اليك وقتا اكثر من هذا .. ولكن قبل أن تنصرف سأسمعك المرثية التى سألقيها عند قبرك وهم يهيلون التراب على جسدك القذر .. فى تلك اللحظة الرهيبة سأرثيك بقولى « هنا يرقد شانيت اللعين ، الذى كان من كبار المجرمين ، وكان ايضا اخبث الملاكمين ، فالعنوه فهو سفاك اثيم ، مستقره أعماق الجحيم » فهل تعجبك هذه الخطبة البليغة يا شانيت .

والآن . آركى . ارشده الى الباب .

وارشده آركى الى الباب بأن دفعه فى ظهره دفعة عنيفة كادت تلقيه على وجهه . وقد انحنى امامه وقال فى لهجة مؤدبة على طريقة الخدم :

ــ مولاي .. الباب من هنا ..

ولما انصرف شانيت رجع آركى الى تمبلار بوجه متجهم

وقال وهو يرتمي على المقعد :

ـ هيه .. لقد نفذت ما كان يجول في خاطرك فما الذي ينبغي ان نفعله الان ؟ هل نكتب وصيتنا الأخيرة ام نقضي ما بقي لنا من ساعات معدودات في الشراب والغناء ؟

فقال تمبلار في هدوء :

ـ انك محق في هذا فقد قضي علينا بالاعدام .. ولكن متى يحضر رجال البوليس للقبض علينا ؟

ـ ليس قبل الساعة الخامسة على اية حال .. فانهم مستغرقون الان في النوم . ولو حدث زلزال لما اغراهم بان يستيقظوا من قيلولة الظهر ويتخلوا عنها .. وكذلك شأن رجال الجيش فان هذه القيلولة مقدسة عند اهالي تلك البلاد .

ثم أردف شريدان في شيء من الرجاء :

ـ ففي الوقت متسع كما ترى لكي نهرب ونلحق بالباخرة اندالوسيا فتفرس فيه تمبلار برهة ثم قال :

ـ اسمع يا حبيبي .. لقد انتهى وقت المزاح وحلت ساعة الجد .. لقد بدأنا فينبغي ان نستمر لان التراجع ليس من عادتي .. وليس من الحكمة طبعا ان نجلس هنا وننتظر حضور رجال الشرطة للقبض علينا فهيا بنا نقابل كيلي ... فاذا ما شرحتما لي طبيعة سانتامبراندا ومسالكها ومواقعها الجغرافية امكننا ان نستولي عليها في خلال بضع ساعات .

فقال شريدان في دهشة :

ـ امكننا ماذا ؟

فقذف تمبلار سيجارته عالية في الهواء وتلقاها بين شفتيه في خفة وهو يقول مستدركا :

ـ بل قصدت ان اقول انني انا وحدي سأستولي عليها . نعم انا وحدي فحملق فيه شريدان دهشا وقال :

ـ ماذا دهاك ؟ هل عاودتك الحمى ؟ اتريد قرصا من الاسبرين ؟

فقال تمبلار ضاحكا :

ـ بل اريد قبعتي لنذهب الى كيلي .. هيا بنا .

الفصل الثالث

حين قال تمبلار انه سيستولي على المدينة في خلال بضع ساعات كان في الواقع مسرفا في القول مبالغا قليلا لان الأمر اقتضى منه اربعة أيام كاملة .

كانت هناك اعمال تمهيدية لابد من القيام بها . واحتياطات دقيقة لابد من اتخاذها . وقد كرس تمبلار لذلك وقتا وعناية غير قليلين .

وقد يخيل لمن يراقبه انه قليل الاكتراث وانه في تصرفاته انما يخبط خبط عشواء دون ان يكون هناك خطة معينة يسعى الى تحقيقها او نهج خاص يسير عليه . ولكن الواقع انه لم يكن يخطو خطوة واحدة الا بعد دراسة وتمحيص .

حقيقة . قد تكون هذه المغامرة منطوية على جراة تبلغ حد الجنون ولكنه مع ذلك كان يوازن بين النجاح والاخفاق. ويتخذ من اسباب الحيطة ما يكفل له الفوز . فانه لم يكن يجهل ان الموت هو مصير كل ثائر كتبت له الهزيمة .. ولقد كان تمبلار ـ حتى هذه اللحظة ـ يكره ان يرى اسمه مدرجا في قائمة الاموات .. ؟

وشرح تمبلار للارلندي الاحمق الخطة التي ينوي ان يتبعها فقال هذا متحمسا :

ـ الحق انه مضت على سنوات وانا افكر في ان الوقت قد حان لاسقاط هذه الحكومة الطاغية المستبدة . ومن عجب اني لم اقدم بنفسي على القيام بهذه الثورة .

فقال تمبلار :

— انها مجازفة جريئة .. ولكنني ما كنت لافكر فيها لولا انى ارجح ان يكون الفوز حليفنا .

فقال كيلي وهو يفرك كفيه ابتهاجا وقد اشرق وجهه :

— انى اتلهف شوقا الى القتال .. ! انى رجل لم اخلق الا للحديد والنار . وهذه البلاد المستغرقة فى النوم تثير ضجرى .

فابتسم تمبلار وقد سره ان وجد فى كيلي هذا الحليف المتحمس المؤيد له على طول الخط فقال :

— انى ارجح ان الفوز سيكون من نصيبنا .. حقيقة ان مثل هذه الخطة قد تحقق فى انجلترا ولكن فى مكان كهذا ..

فانبرى كيلي يقول مقاطعا :

— ان طبيعة الارض صالحة للقتال ..

واوضح فكرته برسم كروكى خطه على ورقة صغيرة .

وكانت جمهورية بسالا خالية من السكك الحديدية ومن المدن الاهلة بالسكان اذ ليس فيها الا ثلاث مدن او اربع تنتشر فى طول البلاد وعرضها وتحيط بها الغابات والتلال من كل ناحية . ويصل بينها طريق ممهد لسير العربات او الخيول . والمسافة بين سانت ميراندا ومدينة اسبرانزا التى تقع على الحدود تبلغ نحو مائة واربعين ميلا .

ويجب ان نقول ايضا ان شكل تلك البلاد مستطيل وان الدولة التى تتاخم اضلاع هذا المستطيل انما هى جمهورية مادبرا وهى دولة كبيرة المساحة عديدة السكان لها جيش منظم قوى .

وقال تمبلار مختتما المناقشة :

— اننا بطبيعة الحال نعتمد فى خطتنا هذه على نفسية الجماهير فى زمن الثورات وعلى ما هو معروف عن اهل

تلك البلاد من الخمول وبلادة الاحساس .. فانهم ان راوا رجلا فى ثياب رسمية انيقة وقيل لهم ان هذا هو رئيس الجمهورية آمنوا على الفور بما قيل لهم ولم يخطر ببالهم ان يبدوا شيئا من المقاومة او الاعتراض ولم يتمنوا الا فى ان يكونوا فى هذا العهد الجديد خيرا منهم فى العهود السابقة .. فاذا نحن الغينا بعض الضرائب بمجرد استيلائنا على زمام الحكم ، انحاز الجمهور الى جانبنا وايدنا بكل قوته وتخفيف عبء الضرائب لن يؤثر فى مالية الدولة .. لانني اعتقد اعتقادا راسخا ان مانويل دى فيلجا كان يقتطع من الايرادات شطرا يحشو به جيوبه لمصلحته الخاصة .

وقال كيلي مؤيدا :

— ان هذه الخطة ستكون عظيمة التأثير .. فان الاهالى يضجون بالشكوى من كثرة الضرائب التى ترهقهم .

وقال تمبلار مسترسلا :

— وعلينا بعد ذلك ان نهتم بالجيش .. ان الجيش بطبيعة الحال يطيع ضباطه طاعة عمياء كما هو شأن اى جيش فى العالم فاذا نشبت الثورة راى الجيش من واجبه ان يقمعها بالقوة . ولكننا لن نمكنهم من ذلك لن يعلم الجنود بان الثورة قامت الا اذا انتهت فعلا وسقطت الحكومة القديمة وحلت محلها الحكومة الجديدة . وعند ذلك لن يجد الجنود بدا من الخضوع لأوامر الحكومة الجديدة ، ونواهيها لا سيما اذا زدنا مرتبات الجنود لنضمن ولاءهم واخلاصهم .

واخذ تمبلار وكيلي يتداولان فى الامر فترة من الوقت ثم خرجا الى الشرفة لينضما الى آركى شريدان الذى لم يحضر

هـذا الاجتماع لانه كان مشـغولا بالتحدث الى ليلا ماك اندرو ..

وجعل نمبلار يتأمل الفتاة فى نظرات تدل على الاعجاب . كانت طويلة القامة شقراء الشعر زرقاء العينين ، ذات رشاقة وجاذبية ، وكانت الشمس قد لفحت بشرتها فاكسبتها سمرة خفيفة ضاعفت من جاذبيتها وهى تبدو فى وجنتيها ممتزجة باشراق الصبا ونضارة الشباب . وكان ظاهرا على اركى شريدان انه هائم بالفتاة يدله فى حبها وأراد نمبلار ان يداعبه قليلا فقال مخاطبا الفتاة فى لهجة جدية :

— يجب يا مس ماك اندرو ان تراقبى اركى مراقبة دقيقة فانى اعرفه منذ زمن طويل واعرف ان له ماضيا حافلا بالغزل ومغامرات الحب .. فهناك مثلا جلاديس ذات الشعر الذهبى والراقصة فى مسرح جاتيه .. وهناك سوزان ، وبريل ، بل فتاتان كل منهمـا تدعى بريل ، واثيل انموذج المصـورين ، وانجيلا ، وسادى التى من كاليفورنيا .. وجوان ، بل فتاتان باسـم جوان .. كلا .. بل ثلاث فتيـات كل منهن تدعى جوان ..

فصاح آركى متضرعا :

— لا تصدقيه يا ليلا فهو يهذى منذ الصباح . والدليل على ذلك انه قال قبل الغداء ان اسمه لويس السادس عشر ..

فضـحكت الفتاة ضـحكة رنانة لطيفـة وقالت تخـاطبه نمبلار :

— شكرا لك على هذه النصيحة الغالية . ومع ذلك كن مطمئنا اذ الواقع انى لا اهتم كثيرا بآركى .

فصاح آركى قائلا :

— اتقولين هذا بعد كل ما فعلت فى سبيلك . لقد جاءت الى هذه البلاد وبلسانها تلك اللكنة الاسـكتلندية القبيحة ..

وأنا الذى علمتهـا كيف تنطق الانجليزية نطقـا فصـيحا مستساغا ..

فقالت الفتاة معاتبة :

— آركى .!

ولكنه استرسل يقول :

— نعم .. ان لكنتها الاسـكتلندية كانت لا تطاق .

فقالت الفتاة وهى تبتسم :

— هل هو دائما بهذا الشكل مهذار ليس لكلامه وزن ؟ .

فقال نمبلار مجيبا :

— الواقع ان تاريخه حافل بالمغامرات كمـا قلت لك .. ولكن الرجاء الوحيد الذى يمكنك ان تتعلقى به هو انك اول « ليلا » فى تاريخـه . ولكن انتظرى لحظة .. انى آسـف فقد كان يحب جرسونة فى حانة اسمها ليلا ..

فصاح شريدان غاضبا :

— انصرف فهذا اولى بك .. لعمرى انى لا عجب لك . كيف تواتيك القدرة على المزاح وانت تعلم انك ستعدم عنـد الفجر .. وصدقنى انى ساهتف للجنود واوزع عليهم الحلوى بعد ان ينتهوا من الاجهاز عليك .

ولوح نمبلار بيده فى وجهه وهو يقول :

— انى سأتبرع اذن بثمن الحلوى !

ثم اخذ بذراع كيلى ومشيا الى نهـاية الشرفة . فلما خلا اركى الى فتاته قال لها وهو يبتسم :

— ليـلا .. انى لا اريد ان ازعجك او ان ابث القلق فى نفسك ولكن الظروف التى نحن فيهـا ليست مملوءة بالمسرات كما يحاول نمبـلار ان يلقى فى روعك .. انه مولع دائمـا بالهزل والمزاح وستريته ضاحكا باسما والجنود يطلقون عليه

النار .. ولكن ضحكاته لن تجعل رصاصهم يطيش باى حال من الاحوال .

فبدا الحزن فى عينى الفتاة وقالت :

— اذن فلى نيتك ان تشترك فى هذه المغامرة الخطرة . انى لن اسمح لك بذلك .

فضحك شريدان وقال :

— ان الامر ليس متعلقا بى .. فالمسألة كلها فى يد سيمون تيبلار ولا شىء فى الدنيا يمكن أن يوقفه عن المضى فى خطته . وسيقول لى عازنا انه يحسن بى اذا كنت خائفا ان احلق شاربى وارتدى ثوب امراة حتى لا يعرفنى الجنود ؟

وتفرس آركى فى عينى الفتاة وقال فى لهجة بطيئة :

— وانى بطبيعة الحال اوثر ان اقذف بنفسى الى اعماق الجحيم على ان اسمع من تيبلار مثل هذا القول .

وكانت ليلا خليقة بان تمضى فى الحاحها لولا ان شيئا فى نبرات صوته دعاها الى السكون .. فقد ادركت من لهجته ان اقناعه بالنكوص مستحيل .

كانت نبرات صوته ونظرات عينيه وهو يتكلم تنبئها بأنها ازاء رجل يؤمن ايمانا اعمى بالغاية التى يسعى اليها وان لا شىء فى الدنيا يمكن أن يزعزع اخلاصه . وكانت تعرف ان كل محاولة منها فى هذا السبيل ستحط من قدرها فى نظره وستجعله يزدرى موقفها ويحتقرها .

ولم تر ليلا ماك اندرو ان تكون عقبة فى سبيله او ان تقف موقفا يحقر من شأنها .

وابتسمت الفتاة فجأة وقالت وقد استجمعت شجاعتها :

— لقد كنت اتمنى دائما ان اشهد احدى الثورات ..

ومرت لحظات قبل ان يدرك شريدان ما فى قولها من الشجاعة

والشهامة والنبل .. وطوقها بذراعيه بغتة فجعلت تجرى بيدها على شعره فى رفق وحنان وهى تقول :

— يا عزيزى آركى .

وقال شريدان وهو يدفن وجهه فى صدرها :

— انى اعترف بكل ما قال تيبلار عن اولئك الفتيات وعن غيرهن ايضا ولكن هذا لا يغير شيئا من الحقيقة الواقعة وهى انى احبك وسأتزوجك بمجرد انتهاء هذه الثورة الهزلية .

— وانا ايضا احبك .. !

ولم ينبها من نشوة هذا الغرام الا بعد عشر دقائق حين اقترب منهما سيمون تيبلار وسعل متعمدا لينبههما . فلما التفتا اليه قال وهو يتحاشى ان ينظر الى الفتاة حتى لا يضاعف خجلها وارتباكها :

— انى آسف لازعاجى لكما فى هذه اللحظة . ولكن اذا نظرتما الى الطريق وجدتما شرذمة من رجال البوليس متجهين الينا لكى يقبضوا علىّ بتهمة الاعتداء على احد علماء المدينة ولكى يقبضوا على آركى بتهمة انه شهد هذا الحادث وساعد عليه .. فهل تسمحين لنا يا مس ليلا بان نهرب ؟

ومشوا الى طرف الشرفة ونظروا منها الى الطريق . فلاحت لهم سانتا بيراندا على مسافة ميل تقريبا غارقة فى اشعة الشمس الفياضة وقد بدا قصر رئيس الجمهورية بلونه الابيض اللامع الملفت للانظار .

والتفت تيبلار الى آركى وقال له :

— امامك دقيقة واحدة تودع فيها صاحبتك الفتانة .

فانحنى شريدان راسه شاكرا .. وجذب تيبلار الايرلندى كيلى ومضى به الى داخل الكوخ وهو يقول :

— الديك شىء من الطلاء الذى يدهن به الاثاث ؟

فقال كيلى مجيبا وقد ادهشه ان يكون لمثل هذا السؤال

موضع فى هذا الوقت الحافل بالثورات والدماء :

— نعم .. ان لدى علبة من الدهان اللاكيه الابيض واخرى من اللاكيه الاسود ..

— اذن .. آتنى بها .. اعنى علبة اللاكيه الاسود .

وحمل كيلى علبة اللاكيه الى تمبلار وهو يقول :

— ولكن ماذا تريد منها الان ! هل تنوى ان تجيب على رصاص الجنود بان تقف فى وجوههم بعلبة الطلاء ؟

فضحك تمبلار وقال :

— نعم .. هذا هو ما انويه .

نهز الايرلندى راسه وقال فى اسى :

— ايه .. يظهر انه لن يكون لى شان فى هذه الثورة .. لو اننى كنت مكانك لقابلت رجال البوليس باطلاق النار عليهم ..

— وبذلك تفسد خطتى كلها .. كلا .. يا كيلى ان الوقت لم يحن بعد لاطلاق النار .. وارجوك ان لا تقدم على اى عمل الا بعد موافقتى .. ولا تنس انك عبارة عن نصف جيش الثورة .. فاذا فقدناك لسبب من الاسباب فقد خسرنا نصف المعركة ..

وتناول تمبلار قبعته فوضعها على راسه وامالها الى ناحية شان المستهتر المتحفز للنضال . ثم استدعى آركى ووقف الاثنان يصافحان كيلى فى حرارة قبل انصرافهما ..

والتفت تمبلار الى ليلا اندرو وقال :

— يؤسفنى انى سأضطر ان انتزع منك آركى .. ولكننى فى حاجة الى رجل يجيد ارسال اشارات التلغراف .. وآركى يحذق هذه الاشارات ويحفظها عن ظهر قلب .. ولكننى اعدك بان اعيده اليك سليما معافى . فلا حاجة بك الى القلق .. وفضلا عن هذا فان الموت لا يختار الا خيار الناس الصالحين

.. ومن المؤكد ان آركى ليس من هذا النوع ..

وابتسم تمبلار :

واذا ما ارتسمت على شفتى تمبلار هذه الابتسامة المرحة المبتهجة . فمنذا الذى يمكن ان يظن انه سيقذف بنفسه بعد لحظات الى مغامرة قد يناله من ورائها الموت المحتوم .

— ساعلق على صدر آركى بطاقة عليها هذه الكلمات : « قابل للكسر » فلا يصيبه اذى .

ثم اخذ يهبط درجات الشرفة على مهل ويده فى يد شريدان . وذهبا الى كوخ شريدان وحدهما .

وهناك ابدى آركى شريدان نفس الاعتراض الذى سبق ان ابداه كيلى اذ قال :

— الا ترى انه يحسن بنا ان نعدل عن خطتنا فنقابل هؤلاء الجنود وجها لوجه ونفرقهم بسيل من الرصاص ؟

فابتسم تمبلار وقال :

— انك تعرف اننى رجل اكره ان اسمع دوى الطلقات النارية . ومع ذلك فليس فى الوقت متسع الان لكى نضع خطة جديدة ..

واخذ تمبلار يقوم ببعض الاستعدادات لمقابلة رجال البوليس القادمين . واصدر الى شريدان تعليماته فى هذا الشان . ثم امره بالوقوف فى المكان الذى عينه له .

ولما اطمأن تمبلار الى ان كل شىء سيجرى طبقا لما يريد جلس على مقعد كبير فى الشرفة واشعل سيجارته واخذ يدخن فى هدوء منتظرا وصول حماة القانون .

الفصل الرابع

اخذ رجال الشرطة يرتقون منحدر التل متجهين الى كوخ شريدان وقد لاح عليهم التعب والاعياء والشمس تلهب

رؤوسهم باشعتها المحرقة والعرق يتصبب على جباههم السمراء . وكان الضابطان الراكبان فى العربة التى يجرها زوج من الجياد عبا الوجيدان المستريحان اللذان لم يشعرا بما فى ارتقاء هذا التل من جهد ومشقة .

وكان تمبلار يرقب الجوادين وهو معجب بما يلوح عليهما من القوة والنشاط وكان ينتظر وصولهما بفارغ الصبر ..

وكان رجال البوليس مدججين بالسلاح اذ يتدلى من منطقة الواحد منهم مسدس وسيف وبندقية ، أما تمبلار نفسه فكان على النقيض من ذلك أعزل من السلاح — وكان سلاحه الوحيد مدية صغيرة معلقة فى داخل كمه فوق ساعده الايسر .

وكان عدد رجال البوليس القادمين للقبض عليه عشرة بخلاف الضابطين فلما صاروا على قيد بضع ياردات من الشرفة نهض تمبلار واقفا وانحنى امام الضابطين وقال باللغة الاسبانية فى لهجة مؤدبة مهذبة :

— اهلا بكما .. مرحبا ايها السادة .

فنشر الضابط الاكبر ورقة بين يديه ونظر فيها وقال فى صوت شديد النبرات :

— يا سنيور .. انى آسف لان واجبى يضطرنى أن ازعج زائرا عظيما مثلك .. ولكنى امرت بأن ارجوك أن تتفضل بمرافقتى الى مخفر البوليس حتى تقدم الى المحاكمة غدا بتهمة الاعتداء على السنيور شانتيت ..

ووضع الضابط الورقة فى جيبه ثم انحنى فى أدب .

وابتسم تمبلار ابتسامة رقيقة وقال :

— يا حضرة الشرطى .. يؤسفنى أن لا ارافقك .. وكلمة « الشرطى » لا غبار عليها اذا خوطب بها « انفار » البوليس العاديين . ولكنها تعتبر مسبة كبرى اذا وجهت الى أحد

الضباط ولذلك لم يكد الضابط يسمع تمبلار يخاطبه بقوله يا حضرة « الشرطى » حتى ثارت ثائرته .. فوضعت هذه الكلمة حدا نهائيا للاحترام الذى كان يبدو فالتفت الى رجاله وصاح بهم فى صوت يدوى كالرعد وهو يرتقى درج الشرفة :

اقبضوا عليه ..

فأجابه تمبلار فى لهجة تدل على الحزن :

— انى لا استطيع ان أبقى ، كما أرفض ان اجعلكم تقبضون على .. فوداعا ايها الاصدقاء ..

ودخل تمبلار الى قاعة الطعام من خلال بابها المتصل بالشرفة .. وبلغ من جرأته المثيرة للاعصاب أنه لم يسرع فى مشيته كأنما يأتى بفراره امرا عاديا ..

واسرع رجال البوليس خلفه وعلى رأسهم الضابطان .

وكان الكوخ صغير المساحة به شرفة كبيرة تطل على منحدر التل فضلا عن شرفة خلفية صغيرة . وبالكوخ ثلاث غرف تقع على صف واحد ولكل غرفة بابان يتصل احدهما بالشرفة الكبرى والثانى بالشرفة الصغرى . وكانت قاعة الطعام التى دخلها تمبلار واقعة فى وسط الغرفتين خالية من النوافذ .

ودخل رجال البوليس القاعة شاهرين المسدسات والبنادق ليلحقوا بتمبلار الذى رأوه يمرق مسرعا من الباب المتصل بالشرفة الصغرى وفى تلك اللحظة أغلق أركو شريدان باب القاعة المؤدى الى الشرفة الكبرى ووضع المزلاج من الخارج كما سبق أن أوصاه تمبلار .

اما تمبلار فوقف عند الباب الصغير وقد رفع يديه فوق رأسه وفى كل منهما جسم اسود متكور وصاح يقول :

— ايها السادة .. انى ثائر لا احب سفك الدماء .. ولكنى اكره ان تتعرضوا لى بهذا الشكل .. ان فى يدى قنبلتين كما ترون . فاذا لم تذعنوا وتسلموا القيت القنبلتين عليكم فانفجرتا

وتتلكم شظاياها على الفور فماذا تختارون ايها الاصدقاء : الموت او الحياة ؟

وجمد رجال البوليس في مكانهم وقد علت وجوههم صفرة الخوف . وتراجع الضابطان الى الوراء ووقفا خلف جنودهما حتى يكونا في مأمن من شظايا القنبلتين متخذين من اجسام الجنود درعا لهما . ثم اخذا يحثان رجالهما على التقدم والهجوم وعدم التراجع امام الخطر في سبيل تأدية الواجب المقدس . !

ولكن تمبلار لوح بالقنبلة التي في يده اليمنى متوعدا فوجد الجنود ان من الخير لهم ان يقتنعوا ببلاغة تمبلار الممثلة في القنبلة بدلا من الاقتناع ببلاغة الضابطين فرفعوا ايديهم فوق الرؤوس مسلمين ولم يجد الضابطان مناصا من اتباع المثل الذي ضربه لهما الجنود .

وامرهم تمبلار بان يلقوا باسلحتهم الى الشرفة الصغرى حيث كان شريدان واقفا في الانتظار . فاخذ يجمعها وينزع منها خزانة الرصاص ويقذف بها الى الغابة القريبة بعد ان يضع الرصاص في كيس معلق بكتفه كان قد اعده خصيصا لهذا الغرض ..

ولما تم لتمبلار تجريد الجنود من السلاح والذخيرة تراجع الى الباب ثم صاح بهم :

— والان .. وداعا ايها الاصدقاء . والى اللقاء قريبا ..!

ثم رفع يديه والقى القنبلتين عليهم فتراجع الرجال الى الوراء في ذعر وهلع وسقط بعضهم على بعض خائفين وقد اطلقوا من حناجرهم صرخات الاستنجاد من هذا الموت الداهم الذي سيحل بهم .

واسرع تمبلار فاوصد عليهم من الخارج الباب الثاني المؤدي الى الشرفة الصغرى وتركهم يتخبطون منتظرين انفجار القنبلتين الرهيبتين ولكن القنبلتين لم تنفجرا .. لانهما لم تكونا

الا كرتين من كرات التنس طلاهما تمبلار باللاكيه الاسود الذي اخذه من كيلي حتى يكون لمظهرهما شكل القنابل .

فلما سقطت القنبلتان على الجنود ولم تنفجرا ادرك هؤلاء حقيقة ما حدث لا سيما حين راوا القنبلتين تثبان على الارض وتتركان في مواقعهما اثر الطلاء الاسود ..

اما تمبلار فتخطى سياج الشرفة واسرع خلفه شريدان الذي كان يحمل على ظهره الكيس المملوء بالذخائر التي غنمها من رجال البوليس .

ووثب الرجلان الى ظهر جوادي الضابطين في الوقت الذي كانت ترتفع فيه من قاعة الطعام الشتائم التي كان يرسلها رجال الشرطة المحبوسين في ذلك السجن المجرد من النوافذ .

وصاح تمبلار يقول باعلى صوته : وداعا ايها الاصدقاء . !

ولم يعد الجنود يسمعون بعد هذا الا وقع حوافر الخيل وهي تنطلق مسرعة فضاعف ذلك سخطهم وغضبهم . ولكنهم لم يستطيعوا ان يحطموا الباب الا بعد عشر دقائق . فاخذوا يهبطون التل مجردين من السلاح وعلى وجوههم امارات التعب قاصدين الى سانتا مراندا لكي يعترفوا بالهزيمة التي حاقت بهم ..

ولكنهم لم يقصوا على رؤسائهم ما حدث بالضبط وانما اتفقت كلمتهم اثناء الطريق على ان يلفقوا حكاية لا اصل لها يتحدثون فيها عن الدفاع المستميت وعن الشجاعة العظيمة التي ابدوها وكيف ان تمبلار هددهم بقنابل حقيقية .. الى غير ذلك من اسباب التهويل والمبالغة التي تضمن لهم عفو الرؤساء عنهم .. !

ولا يفوتنا ان نذكر انهم عندما خرجوا من قاعة الطعام وجدوا في الشرفة مائدة وضعت عليها اقداح الشراب وزجاجة

مفتوحة ملأى بالخمر فاقبلوا عليها فى نهم وشره حتى اتوا عليها جميعا ..

ولم يكن تمبلار طبعا قد ترك هذا الخمر سهوا وانما الواقع انه تركه متعمدا لانه كان قد مزجه بأملاح مسهلة .. فكان من نتيجة ذلك ان ظل رجال البوليس اليوم التالى لا يبرحون بيوتهم بسبب هذا المسهل القوى الذى تناولوه وهم لا يعلمون .. !

اما تمبلار وآركى شريدان فقد اسرعا عقب فرارهما الى كوخ الايرلندى كيلى حيث كان فى انتظارهما وقد اعد كيسا كبيرا من الجلد ملأه بأشياء اوصاه عليها تمبلار . وتناول منه تمبلار الكيس وشده الى سرج الجواد .

اما شريدان فنزل عن جواده وسلم زمامه الى تمبلار الذى قال لهما مودعا :

ـ والان .. اودعكما ايها المحبوبان .. ووداعا يا مس ليلا .. سنلتقى قريبا .

ثم اطلق العنان لجواده وهو يسحب خلفه الجواد الثانى ..

فلما توارى عن الانظار قال شريدان يخاطب صاحبه كيلى :

ـ انى فى حاجة الان الى قطعة من الخشب وزجاجة ومسامير بقلاووظ ومفك وبضعة امتار من السلك . فان لدى عملا يجب ان انجزه قبل ان آوى الى فراشى .

والتفتت اليه الفتاة وقالت :

ـ كنت اظن انك لن تعود الان !

فقال آركى مجيبا :

ـ الواقع اننى لم اكن ادرى اذا كنت ساعود ام لا .. فقد كان الامر كله متوقفا على نجاح الخطة التى وضعها

تمبلار للفرار . وفضلا عن ذلك فانى لست من الحماقة بحيث احرم نفسى لذة هذا الوداع الممتع الذى جرى بيننا على رجاء ضعيف هو انى قد اعود اليك بعد ربع ساعة فهل اغضبك انى عدت .. اذا كان الامر كذلك فانى على استعداد لكى اذهب الى المدينة واسلم نفسى طائعا مختارا .. ؟

وعندما مالت الشمس الى المغيب جاءت الى الكوخ شرذمة من الفرسان على رأسها ضابط ابدى رغبته فى تفتيش المكان .. فقال كيلى معترضا :

ـ ولكن اى حق لك فى التفتيش ؟

وقد نطق الايرلندى المتحمس بهذه الجملة وهو يغالب هذه الرغبة الشديدة التى استولت عليه بان يلكم الضابط على فكه ويصرعه ارضا ..

وقال الضابط :

ـ ان لدى امرا بالتفتيش من وزير الداخلية .

فعض كيلى على اسنانه ولم يقل شيئا ..

ونزل الضابط عن جواده ودخل الكوخ فقال له كيلى :

ـ ولكن ما الذى يجعلك تظن انى اخبئه عندى ؟

فقال الضابط مجيبا :

ـ المعروف انك صديق للسنيور شريدان .. ومعروف ان السنيور شريدان صديق لهذا الرجل .. فنحن نفتش عن الاثنين معا ..

وقال كيلى وهو يطوف غرف الكوخ فى رفقة الضابط :

ـ وما اسم هذا الرجل الذى ذكرته الان .. ؟

ـ لقد اخبر السنيور شاتيت عندما اعتدى عليه انه يدعى لويس السادس عشر .

ولم يفهم الضابط السبب الذى جعل كيلى ينفجر ضاحكا اذ ليس فيما قال ما يدعو الى اثارة الضحك . ولكنه مزا

الامر الى ما هو معروف عن اولئك « الانجليز » من غرابة الاطوار ..

واخذ الضابط ورجاله يفتشون الكوخ ولم يدعوا ركنا فيه الا نقبوه وبحثوه .. ولكنهم لم يعثروا على آركي شريدان الذى كان مختبئا فوق شجرة باسقة قائمة عند باب الكوخ ..

وقال الضابط وهو يهم بالرجوع مع رجاله :

— والان يجب ان تعلم يا سنيور كيلى ان شريدان ولويس السادس عشر خارجان على القانون وان الامر صدر بالقبض عليهما بتهمة التعدى على رجال البوليس وتهديد حياتهم بالقنابل .. فضلا عن الاعتداء على السنيور شانيت تضاعفت المكافأة المرصودة للقبض عليهما حيين او ميتين .

واتجه الفرسان الى طريق الغابة وامضوا ساعة كاملة وهم يبحثون عن الهاربين . واخيرا عثروا على جوادى رجال الشرطة اللذين ركبهما تمبلار وصاحبه عند الفرار . وكان الجوادان يهيمان فى الحقل ويرعيان الكلا . فالتفت الضابط الى رجاله وقال :

— لقد هبط الظلام فالبحث مستحيل الان .. ولكنهما لن يتمكنا من الابتعاد سيرا على الاقدام ما داما قد تخليا عن الجوادين ..

وقد سمع تمبلار هذه الجملة التى نطق بها الضابط لانه كان ايضا على شجرة فوق راس الضابط تماما وعلى مسافة خمسة اميال من الكوخ .

الفصل الخامس

فى تلك الليلة ظهر فى شوارع سانتا ميراندا رجل من العبيد الارقاء، والعبيد كلمة تطلق فى تلك البلاد على طائفة معينة من الناس ليسوا فى الواقع سود الوجوه وانما ينحدرون من اصل

وضيع ينظر اليه الاهالى فى شىء من الانفة والاحتقار .

وكان هذا العبد القذر الهيئة تتقذى العين بمرآه وثيابه معفرة بالتراب وقد تمزقت وانتشرت فيها الخروق والرقعات . وكان شعره طويلا ومرسلا ينتهى بضفيرة طويلة كما هى عادة الفقراء فى تلك البلاد ..

ولو شاء هذا الصعلوك لامكنه ان يجتاز الشوارع دون ان ينبه اليه الانظار شأنه فى ذلك شأن الكثيرين من امثاله الصعاليك الذين يروحون ويغدون دون ان يحفل بهم احد . ولكنه على العكس من ذلك كان يتعمد ان يثير اليه الالتفات . ولم يكن هذا بالامر الصعب عليه لان هذا المظهر الذى يدل على الفقر والفاقة لم يكن يتفق مع تلك الجيوب المحشوة بالمال ..

واخذ العبد الصعلوك يطوف بحانات المدينة الوضيعة فيخرج من هذه ليدخل الى الاخرى وهو يقدم الشراب مجانا لكل من شاء ان يلتف حوله من الناس . فلم يكن غريبا ان يمشى وخلفه جمع كبير من الجمهور تبعه ليحظى بهذا الشراب المجانى الذى يقدمه اليه هذا الرجل الغريب الاطوار اما الرجل نفسه فكان يشرب من وقت لاخر تحية لهؤلاء « الاصحاب » فما لبث ان ثمل وتلعثمت كلماته.

ولم يمض وقت طويل حتى اخذ هؤلاء الناس يطلقون الشائعات فى حقه ويتهامسون عن حقيقة امره . فقال بعضهم انه قاطع طريق فر من جمهورية ماديرا واجتاز الحدود الى البلاد . وان هذا المال الذى ينثره نثرا انما جاءه من الغنائم التى سلبها من ضحاياه . وانه لا يلبث ان يعود الى بلاده حينما تفرغ نقوده او حينما يطمئن الى ان مطارديه قد يئسوا من القبض عليه ..

ولمح بعضهم فى اصابعه خاتما يزينه فص كبير اثرى فقالوا انه ينحدر من عائلة مكسيكية عريقة فى النبل وانه لابد ان يكون

قد شجر خلاف شديد بينه وبين أمه جعله يهجر وطنه ويتخذ لنفسه هيئة الصعاليك ويوزع أمواله على من يستحقونها ..

ولكن طائفة ثالثة من الناس راحت تؤكد أن هذا الرجل لابد أن يكون من العبيد الأرقاء حقيقة وانه لابد أن يكون قد سلب الخاتم الذى فى أصبعه والاموال التى فى جيوبه من مولاه بعد أن قتله ..

وكان العبد يسمع هذه الهمسات التى يتبادلها الناس بمسمع منه فلا يقيم لها وزنا ..

والواقع أنه كان فى هيئته ما يؤيد الفرضين الأولين .. فقد كان أطول قامة مما هو معروف عن العبيد . وكان أقوى منهم وأصلب عودا . والدليل على ذلك انه اشترى برميلا من الخمر وحمله بين يديه ليلا كلسه دون أن يبدو عليه شىء من المشقة أو الجهد كانما البرميل فارغ لم يبذل فى رفعه اى مجهود .. وكانت عيناه زرقاوين . وهذه الزرقة هى التى استند اليها أصحاب الراى القائل بأنه ينحدر من أسرة عريقة فى النبل اذ العيون الزرقاء نادرة بين العبيد ..

ولكن مما رجح الراى القائل بانه لص هارب من وجه العدالة ما كان يظهره من الاستخفاف وقلة الاكتراث كانما الحياة فى نظره فى ذلك اليوم لا تعدو أن تكون ساعة حافلة بالشراب والغناء .

وكان الصعلوك يصيح ما بين فترة وأخرى قائلا :

— أيها الأصدقاء .. اشربوا أو غنوا فهذا بدء أيام عظيمة لجمهورية بسالا .

فاذا سألوه عما يقصد بتلك الكلمات راوغهم وتملص من الاجابة بالقاء النكات والدعابات وأمر صاحب الحانة بأن يطوف على الحاضرين بالكؤوس مرة أخرى .

وهكذا أخذ العبد ينتقل من حانة الى حانة وخلفه الجمهور وهو يحمل على ظهره برميلا مملوءا بالنبيذ .

واعترض طريقه بطبيعة الحال بعض رجال الشرطة حينما وصلت الى أسماعهم الاشاعات التى يتناقلها عنه الناس وكانوا خليقين بأن يستوقفوه ويستجوبوه ولكنه دس فى أيديهم حفنة من المال فألجم ألسنتهم فتنحوا عن طريقه وتركوه وشأنه .

ولما أوشك الليل أن ينتصف اتجه الرجل الى الميدان الذى يشرف عليه قصر رئيس الجمهورية .

وكان الجمهور يتبعه وهو لا يدرى الى أين يقوده هذا الرجل لأن الخمر كانت قد لعبت بالرؤوس وكادت تفقدهم الوعى .

ولما اقترب العبد من قصر الرئيس وضع برميل النبيذ على الأرض ثم امتطاه ولوح بيده للجمهور يسأله الصمت والانصات .

وتطلعت اليه الانظار وهتف الناس يقولون : مليحى . ! مليحى . !

وأشار العبد اليهم بيده مرة أخرى يطلب اليهم السكوت ثم صاح يخطبهم قائلا :

— أيها المواطنون . ! لقد أخبرتكم أن اليوم بدء أيام عظيمة لجمهورية بسالا .. والآن .. سأذكر لكم السبب وهو أننا لن نقاسى بعد الآن الاهوال التى كابدناها تحت حكم هذا الطاغية الذى يسمونه مانويل دى فيلجا . فلتفترسه الحيات والثعابين . فهو لص . وظالم . وأسفل مخلوق حملته هذه الأرض . انه يرهقكم بالضرائب . ولا يعمل خيرا لأجلكم .. أما الرئيس فرجل ضعيف خاضع لتأثير وزيره المستبد . والاثنان يتناولان الرشاوى من الخائن شانيت ، الذى يتآمر ضد

بلادكم لكى يسلمها الى جمهورية مادبرا لقمة سائغة . فالان ايها الرفاق . يجب ان نقضى على حكم الجور والاستبداد .
فصاح نفر قليل من الحاضرين فى اصوات يراودها الشك :
ــ فليحى الخطيب .
فصاح الخطيب مسترسلا :
ــ نعم . فلنقض على عهد الظلم والعذاب . فلننسف هذا القصر البغيض الذى شيدته الاموال التى انتزعت ظلما من جيوب الفقراء والمساكين . نعم فلننسف هذا القصر الذى يقيم فيه هــذا الرئيس الابـــله الذى يلعب به ذلك الخنزير القذردى فيلجا . انهما ينعمـــان بالترف والرفاهية بينمـــا تتضورون انتم جوعا . انهم يحرمونكم من اللقمة التى تسد اودكم لكى يستمتعوا هم بملذات الحياة . تهيـــا معى ايها الرفاق ولنذبح هؤلاء الطغاة ذبحا ونلق بجثثهم الى الكلاب .
وفى هذه المرة لم يهتف احد من الحاضرين بحياة الخطيب ! فقد جعلتهم هذه الكلمات الجريئة يفيقون من نشوة الخمر وقد انكروا على هذا الغريب أن يتكلم بهذه الجسارة النادرة التى تقرب من الجنون فما سبق لأحد منهم ان وصف الرئيس بانه ابله ضعيف . او وزير الداخلية بأنه خنزير قذر . واذا عرض وجـــرى لســـان احدهم بمثل هـــذه الأوصاف نقــل الجواسيس كلماته على الفور الى رجال البوليس فيقبضون عليه ويزجونه فى السجن حيث لا تبلغ كلمات الخونة المارقين اسماع المطيعين المخلصين .
والواقع ان هذا العبد لم ينطق الا حقا . ولكن حثه الناس على نسف القصر وقتل الرئيس ووزيره . امر لم يسمع به احد من قبل ولم يجر فى خواطر الناس يوما من الايام .
وعند ما بدا الغريب خطابته راى حراس القصر يستفيقون من خمولهم ويتجهون الى ناحية هذا الجمع المحتشد . فلمـــا

بلغت آذان الحراس هذه الكلمات الجريئة ادركوا ان هناك خطرا يهدد الرئيس فانطلقوا الى المكان مسرعين وهم ينفخون فى صفايرهم مستنجدين .
ولما راى الرعاع الجنود مقبلين عليهم اخذوا يتفرقون وقد استولى عليهم الذعـــر .
وصاح الخطيب فيهم محاولا ان يجمع شملهم :
ــ ايهـــا الرفاق . ! لقد دنت ساعة الحرية .. لقــد سمعتمونى اغنى فى هــذه الليلة .. فاعلموا اذن انى انمـــا كنت اغنى مرحبا بهذه الحرية .. فاذا ما سمعتم رجلا ينشد هذه الاغانى مرة اخرى فاتبعوه دون تردد .. واعلموا ان هذا الرجل هو زعيمكم وانه هو الذى سيقودكم الى النصر والحرية .. اما الان فاهربوا مسرعين قبل أن يلحق بــكم الجنود .. ولكن فكروا فيما قلت لكم ولا تنسوا الرجل الذى سينشد هذه الاغانى مرة اخرى .. فانه ان انشدها دقت ســاعة الخلاص . !
ولم يكن الجمهور فى حاجة الى أن ينتظر من العبد النصيحة بالفرار اذ ما لبث الناس ان انطلقـــوا مسرعين وتواروا فى الأزقة والمنعطفـــات .
اما العبد فلبث فى مكانه يتابعهم بنظراته وهو يتمتم قائلا :
ــ ايها المجانين .. ! ايها الجبناء .. ! ايها الانذال .. ! ابهذه الطريقة تحاربون الطغاة وتتخلصون من نير الاستبداد !
وكان الجنـــود قد اقتربوا منه واحدقوا به وهم شاهرين السيوف وصاح به احدهم قائلا : عم تتكلم ايها الرجل !
فقال العبد مجيبا وهو يترنح سكرا :
ــ انى اتكلم عن الحرية ! انى العن رئيس الجمهـــورية الابله المجنون الذى ليس الا العوبة فى يد وزيره مانويل دى

فيلجا ذلك الخنزير القذر الذي لا يستحق الا ان يصفع على قفاه .. !

وانطلق العبد يصف وزير الداخلية باقذع النعوت واقبح الشتائم .

وامسك به الجنود وقادوه الى المخفر فزجوه فى زنزانة قذرة امضى بها ليلته . ولكنه على الرغم من ذلك كان لا يفتأ يصيح ما بين لحظة واخرى صاخبا لاعنا موجها شتائمه الى رئيس الجمهورية ووزيره .

ولما ضاق به السجان ذرعا هدده بأن يقطع لسانه ..

وعند ذلك سكت العبد واستغرق فى النوم .

وعندما ذهبوا به فى الصباح الى القاضى كان قد افاق من نشوة الخمر ولكنه كان لا يزال ثائرا متمردا .

وظل القاضى يسأله : ما اسمك ايها الرجل ؟

فكان جوابه : اسمى فلان .. !

فصاح به القاضى قائلا :

ـ دع المزاح ايها الرجل والا امرت بجلدك مائة جلدة .

وكانما خشى العبد هذا العقاب القاسى فقال مجيبا :

ـ انى ادعى الاسكندر المقدونى !

وشهد الجنود بما وقع من الرجل وانهم سمعوه يسب رئيس الجمهورية ووزيره ويوجه اليهما اشد الاهانات .

ولكن الشهود عقبوا على ذلك بأن قالوا انهم وجدوه فى حالة سكر بين .

وقال القاضى يسأله : ألديك اقوال تحب ان تبديها فاجابه العبد بقوله :

ـ نعم .. احب ان اقول انى سأظل حتى آخر ايامى وسواء كنت سكرانا او مستفيقا ـ سأظل العن رئيس الجمهورية الابله ووزيره القذر .. اما انت ايها القاضى وكذلك

رجال الشرطة الذين قبضوا على فلستم الا اداة فى يد الظالمين الطغاة يستخدمونكم لاخماد كل صوت يرتفع فى سبيل الدفاع عن الحق ونصرة العدالة ..

فهمس احد الجنود فى اذن زميله : هذا الرجل مجنون بلا شك .. !

وقال القاضى : هذا الرجل معتوه بلا ريب .. !

ثم نطق بالحكم قاضيا بسجن المتهم سبع سنوات مع الاشغال الشاقة ولما سمع العبد الحكم قال فى هدوء :

ـ لقد حكمت على بالسجن سبعة اعوام .. ولكننى لن امكث فيه اكثر من سبعة ايام .. وسترى .. !

ولما وصل الى السجن طلب ان يسمحوا له بان يرسل برقية الى اونديا عاصمة جمهورية ماديرا قائلا :

ـ اننى من ماديرا .. وهم ينتظرون عودتى صباح الغد .. فيجب ان اخطر زوجتى بما حدث حتى لا تقلق لغيابى .

وفى المساء سمح له ولاة الامور بأن يرسل البرقية التى ذكرها على شرط ان يكون ذلك على حسابه الخاص . وكان لديه من المال ما يكفى لاجرة ارسالها .

وبعد اربع وعشرين ساعة جاءت من أونديا برقية موجهة الى وزير الداخلية مانويل دى فيلجا وعليها توقيع رئيس جمهورية ماديرا .

وهذا نص البرقية بعد ترجمتها من اللغة الاسبانية :

« لقد بلغنا ان رجلا من رعايا ماديرا يدعى الاسكندر المقدونى صدر عليه الحكم بالسجن فى سانتا مراندا .. فاذا لم يطلق سراحه على الفور ويصل الى الحدود لغاية ظهر يوم الاربعاء القادم فان جيوشنا ستغزو اراضى بسالا »

وكان شانتيت جالسا مع دى فيلجا حين وصلت البرقية ..

وقال الوزير فى شيء من الاستغراب ..

— ومن يكون هذا الرجل الذي يدعى الاسكندر المقدوني؟ انني اذكر ان الاسكندر المقدوني اسم تاريخي كان يتسمى به احد ملوك الاغريق القدماء .

فقال رئيس الجمهورية : هذا صحيح .

وامر باستدعاء القاضي .

وقص عليهم القاضي تفاصيل الجريمة التي حوكم العبد من اجلها . فلم يكن في ذلك ما يجلو الغموض الذي يحيط بالمسألة . ولكن وزير الداخلية انتهز هذه الفرصة ليعنف القاضي على غباوته لانه لم يستطع ان يدرك ان « الاسكندر المقدوني » اسم منتحل وان العبد ما ذكره الا على سبيل الهزؤ والزراية .

ولما انصرف القاضي قال دي فيلجا في لهجة تدل على اليأس :

— ولكن من المستحيل ان نتمكن من تنفيذ ما تطلبه جمهورية ماديرا .. فاذا فرض وافرجنا عن السجين فورا فانه لا يمكن ان يصل الى الحدود لغاية ظهر الاربعاء القادم .

ثم اردف قائلا :

— ومع ذلك فمن هو هذا الرجل ؟ انه صعلوك حقير يظهر فجاه في شوارع سانتا ميراندا وجيوبه محشوة بالمال ولا شك انه حصل عليه من طريق غير شريف . فيقدم الشراب مجانا الى الجماهير ثم يحرضهم على الثورة ويؤلبهم ضد الحكومة . انه يستحق العقاب ومع ذلك فها هو ذا رئيس جمهورية ماديرا يطلب الافراج عنه فورا دون مناقشة .. ان هذا معناه الحرب بكل تأكيد .

فقال شانيت : ومن المؤكد ان العبد كان يتوقع هذا .. الم يخبرنا القاضي بانه كان يفخر بانه لن يمكث في السجن اكثر من سبعة ايام .

واذ ذاك انجلى الامر امامهم وزال الخفاء . فهتف شانيت قائلا :

— انه مأجور لاثارة هذا النزاع .

وصاح دي فيلجا مزمجرا :

— انها مكيدة دبرت عمدا وقد جازت علينا بكل اسف .. لقد ارسلت ماديرا هذا الرجل وزودته بالمال حتى يثير شغبا يكون من جرائه ان يقبض عليه .. فاذا زج في السجن ابرقوا الينا يطلبون الافراج عنه فورا وتوصيله الى الحدود قبل ظهر يوم الاربعاء القادم . وهم يعلمون أن تنفيذ هذا الشرط مستحيل لان المسافة من سانتا ميراندا الى الحدود لا يمكن ان تقطع في مثل هذه الفترة الوجيزة .

وقال شانيت متسائلا :

— ولكن ما الذي يدعوهم الى تدبير هذه المكيدة وهم اغنياء وبلادنا فقيرة لا يمكن ان يظفروا بشيء من الاستيلاء عليها .

واخذ مانويل يفتل شاربه في ارتباك ثم قال :

— ولا قبل لنا بصدهم عن بلادنا الا اذا استنجدنا بالولايات المتحدة .

فقال شانيت : وقبل ان يصل الينا اسطول الولايات المتحدة تكون الحرب قد انتهت ووضعت اوزارها . فانك لا تجهل ان نيو اورليان تقع على مسافة خمسة ايام .

واستقرت عينا مانويل على شانيت وضرب المائدة بقبضة يده وهو يقول :

— لقد فهمت .. ! انه زيت البترول .. ! انت وبترولك الملعون السبب فيما حدث . لقد كانت بلادنا تعيش في هدوء وسكينة لا يطمع فيها احد من جيرانها .. اما الآن وقد ظهرت فيها منابع البترول فالكل طامع فيها راغب في الاستيلاء عليها .. وهكذا بسبب بترولك اللعين قدر لنا ان نعيش في حرب

او ق خوف من الحرب .. ومن يدرى اذا كانت هناك دولة كبيرة هى التى دفعت ماديرا الى اعلان الحرب علينا ؟ وعند ذلك ترسل تلك الدولة أساطيلها الى بلادنا بحجة الدفاع عنا ضد المغيرين . والواقع انهــا لا تبغى الا ان تاخذنا لقمــة سائغة حتى تستولى على منابع البترول .

ثم أردف يقول فى يأس :

ــ لقد هلكت .. سأضطر ان اتخلى عن منصبى ..

فصاح به شانتيت قائلا :

ــ بالله عليك .. دع البكاء والعويل .. فانك لن تهلك وحدك بل سنهلك كلنا معك .. فعلينــا ان نتدبر الأمر فى هدوء .

فهز دى فيلجا رأســه وقال :

ــ ليس فى وسعنا أن نفعل شــيئا .. ان جيش ماديرا اضعاف اضعاف جيشنا .. انهم عشرة لواحد .. والرأى عندى أن نسرع بالفرار فى الحال .

ومر وقت غير قصير قبل ان يتمكن شــانتيت من ان يرد وزير الداخلية الى صــوابه . فقد كان شانتيت كالحيــوان الجريح اذا احدق به الخــطر لم ينكص على عقبيه وانمــا استمات فى القتال حتى تنزف آخر قطرة من دمائه .

وكان دى فيلجا وشانتيت يتداولان فى الأمر دون ان يعيرا أى التفات لرئيس الجمهورية . لان الرئيس فى الواقع لم يكن الا العوبة فى يدى وزيره يوجهه حيثما شاء . اما باقى اعضاء مجلس الدولة فكانوا نمرا فى يد الوزير ورأيهم هو رأيه لا يملكون نقدا لمــا يمليه عليهم .

وقال دى فيلجا :

ــ هناك رجاء واحد هو أن نرسل برقية لاســلكية الى الولايات المتحدة نستنجد بها ونطلب منها سفينة حربية لكى

تقر النظام وتعيد السلام الى نصابه . ثم تطلق الاشــاعات حتى تبلغ ماديرا بان السفينة الحربية موجودة فعلا فى الميناء وانها على استعداد للدفاع عنا . فتضطر ماديرا ان تسحب جنودها خوفا من اسطول الولايات المتحدة . وعند ذلك تبرق الى الولايات المتحــدة بأن الحرب قد انتهت قبل وصــول سفينتهم ونرجوهم ان يأمروها بالعودة من الطريق .

وكان شانتيت يرتاب فى نجاح هذه الخطة التى يشير بهــا دى فيلجا اذ لم يكن يعتقد ان الولايات المتحــدة ترضى بأن تسترد سفينتها الحربية بمثل هذه السهولة . بل ستغتنم هذا الاستنجاد فرصة لكى تضع قدمها فى أراضى بســالا وتحتلها بطريقة سلمية مدعية انها ما فعلت ذلك الا بناء على طلب حكومة بسالا نفسها لترد عنها هجمات المغيرين .

ولم يكن شانتيت مرتاحا الى تدخل الولايات المتحــدة اذ كان يخشى اذا ما بسطت حمايتها على البلاد ان تنشر معها العدل الأمريكى . ولقد كان شانتيت يخشى هذا العدل السليم لان الالسن كانت لا تزال تلوك حديث الجريمة التى ارتكبها .

وقال شانتيت : ولماذا لا نفرج عن هذا العبد السجين ؟

فقال مانويل فى ازدراء :

ــ وهل الافراج عنه ينقذنا مما نحن فيه ؟ اننا أن اطلقنا سراحه الآن استحال عليه مع ذلك أن يصل الى الحدود قبل ظهر الغد . وبفرض انه وصل فعــلا فان ماديرا ستنكر وصوله حتى تتخذ من ذلك ذريعة الى اعلان الحرب واقتحام الحدود . فانهم كمــا ترى قد تعمدوا اثارة هــذا النزاع ليستندوا اليه فى تحقيق أغراضهم .

وبعد لحظات قال شانتيت فجأة : وعنى فكرة . لقد مضى يومان لم نسمع فيهما خبرا عن شريدان وصاحبه الهاربين ؟

فصاح دى فيلجا فى غيظ مكتوم .

— وهل فى مثل هذا الوقت العصيب يوجه الى هذا السؤال التافه لقد امرت الجنود بالبحث عنهما ولكنهم لم يعثروا لهما على اثر .

ولم يكن هذا غريبا فى الواقع . فقد وجه الجنود همهم للبحث عن الهاربين خارج حدود مدينة سانتا ميراندا .. ولو انهم فتشوا عنهما فى داخلها لعثروا عليهما . فقد كان شريدان مختفيا فى كوخ الايرلندى كيلى .

اما سيمون تيبلار فلم يكن الا ذلك العبد الصعلوك الذى حكم عليه بالسجن سبع سنوات بتهمة اهانة رئيس الجمهورية ووزير الداخلية .

لقد تعمد تيبلار ان يثير هذا الشغب حتى يحاكم ويسجن انه يعتقد ان السجن اصلح مكان يمكن ان يخفيه عن مطارديه .

وقد صح اعتقاده اذ لم يخطر لأحد من الجنود ان يبحث عن الهارب بين جدران السجن .

الفصل السادس

فى ذات صباح وصلت الى لندن برقية واردة من جمهورية بسالا ومعنونة باسم هوجو كامبارد الشريك الاكبر فى شركة بسالا لمنتجات البترول .

وكانت البرقية مكتوبة بالشفرة السرية فلم يكد كامبارد يحل رموزها حتى دب الخوف الى صدره واخذ يتلوها مرة بعد اخرى وهو لا يصدق ما ترى عيناه .

وكان هذا نصها : —

ماديرا اعلنت الحرب على بسالا . غالبا بايعاز الولايات المتحدة لتتذرع بذلك الى احتلال البلاد والاستيلاء على منابع الزيت . الهزيمة محققة دى نبلجا استنجد بالولايات المتحدة .

النجدة فى الطريق . ولكن سقوط الحكومة امر مؤكد . الغاء حق الامتياز محتمل جدا . تخلص من الاسهم فورا قبل وصول الانباء الى لندن وسقوط قيمة الاسهم » .

« شانتيت »

واشعل كامبارد سيجارة ولكن يده كانت ترتعد لفرط ما عراه من الاضطراب .

كان كامبارد فى اول امره كاتبا صغيرا فى احدى الشركات المالية وكان يدخر قليلا من المال ضارب به فى احد الايام وهو يعلم انه يجازف وانه قد يفقد كل ما يملك . ولكن الحظ كان حليفه فاصاب ربحا جسيما . فشجعه ذلك على الاستمرار فى المضاربات ولم تمض على ذلك عشرة اعوام حتى كان من الاغنيـاء .

وكان كامبارد رجلا لا ضمير له ولا رحمة فى قلبه وكل همه ان يجمع المال باية وسيلة من الوسائل وطالما انشا شركات وهمية لا وجود لها ليبتز المال من الفقراء ويحشو بها جيوبه معتمدا فى خلاصه على ما فى القوانين من ثغرات وعيوب .. وسبق ان حوكم فعلا بضع مرات ولكنه نجا من العقاب .

وهناك مثل قديم يقول : « فى كل دقيقة يولد فى هذه الدنيا مغفل واحد على الاقل » . وحياة كامبارد تدل على ان المثل صحيح فعلى الرغم مما هو معروف عنه من السمعة السيئة فقد كان يجد دائما « مغفلين » يعهدون اليه باموالهم لكى يستثمرها لحسابه فيسلبها منهم بطبيعة الحال .

ولكن ارباحه تناقصت على التدريج وكادت اعماله ان تكسد . فلما جاءه شانتيت يعرض عليه اسهم « شركة بسالا لمنتجات البترول » ابتهج كامبارد بهذا العرض لان اسهم هذه الشركة كانت مضمونة وكان منظورا ان ترتفع قيمتها اذا ثبت لهم أن منابعها غنية بما لديه من مال . وبذلك صار مالكا

لستين فى المائة من الاسهم وبالاموال التى دفعها اشتريت الالات اللازمة لاستخراج البترول .

ثم جلس كامبارد على مقعده الوثير ينتظر تدفق الارباح الى جيوبه لكى يصبح من اصحاب الملايين .

ولكن على حين فجأة غامت السماء وتلبدت بالسحب الداكنة !

ولم يكن هوجو كامبارد يجهل اسم سيمون تمبلار .

لقد قرأ عنه فى الصحف واستمتع بالاطلاع على تفاصيل تلك المغامرات الطريفة التى يقوم بها وكان يهتف له مع الهاتفين ويصفق مع المصفقين .

ولكنه كف عن الهتاف دفعة واحدة حين لم يعد متفرجا . وانما اصبح هو نفسه متحمجا فى احدى تلك المغامرات وهدفا من اهداف سيمون تمبلار .

وكان ذلك فى ذات الصباح حين حمل اليه البريد البطاقة المعهودة .

وظلت هذه البطاقة ترد اليه بعد ذلك فى صباح كل يوم يحملها اليه الخادم وهو يتناول طعام الفطور تتنغص عليه صفاءه وتجرده من شهيته .. فاذا ما وصل الى مكتبه فى مقر الشركه وجد بطاقة اخرى .. فى انتظاره .

ولم تكن البطاقة تتضمن الا شيئا واحدا هو اسم القديس ولكن هوجو كامبارد كان يعلم من قراءة الصحف ان هذا الاسم وحده نذير رهيب .. واى نذير .

ومنذ يومين فقط تكلم تمبلار للمرة الاولى . ففى ذلك الصباح لم تكن البطاقة خالية من الكتابة كما هى العادة وانما وجد كامبارد تحت الاسم الرهيب سطرا واحدا هذا نصه « فى خلال اسبوع ستفتقر وتخرب ! » .

واتصل كامبارد بادارة البوليس واطلعها على هذه

فاقامت احد رجالها عند باب بيته واقامت رجلا آخر عند باب مكتبه . واذا ركب سيارته جلس الى جوار السائق احد رجال البوليس السرى .

ولكن كامبارد لم يكن مطمئنا على الرغم من هذه الاحتياطات لانه كان يعلم ان تمبلار لا يهاجم الناس علانية وان له فى تحقيق اغراضه وسائل خفية لا يعرفها هؤلاء الشرطيون القائمون بالباب .

وقد صح ما توقعه كامبارد اذ هزأ تمبلار من هذه الاحتياطات ولم يحفل برجال البوليس القائمين على الابواب وارسل اليه تلك البطاقة التى يقول فيها : « فى خلال اسبوع ستفتقر وتخرب » .

وقال كامبارد فى نفسه : هذا تهديد وسهل ان يجرى به اللسان ولكن يصعب ان يوضع موضع التنفيذ .

ولكنه حين تدبر وفكر فى الخطة التى ينوى تمبلار ان يتبعها لتحقيق هذا الغرض ذكر البرقية التى وردت اليه من شانتيت ووجد ان فيها الجواب الكافى على تساؤله .

واخذ يحملق فى البرقية وهو مذهول دهش . وطاف بذهنه خاطر فجائى هو ان من المحتمل ان تكون البرقية مزورة وان تكون قد نسبت الى شانتيت كذبا .

واتصل تلفونيا بشركة التلغراف فجاءه الجواب بان البرقية مرسلة حقيقة من سانتا ميراندا .. وخطر له ان من المحتمل ان الذى ارسلها شخص من اعوان تمبلار مقيم فى سانتا ميراندا . فأبرق الى احد وكلائه فى نيويورك يستفسره عما اذا كانت جمهورية بسالا قد استنجدت حقيقة بامريكا فجاءه الرد بان حكومة الولايات المتحدة قد اوفدت احدى سفنها الحربية الى سانتا ميراندا تلبية لاستنجاد رئيس الجمهورية .

واخيرا ايقن كامبارد ان البرقية صحيحة وان ليس فى الامر

اية مكيدة وتهالك كامبارد على مقعده وقد استولى عليه القنوط واعياه التفكير وقد استعصى عليه ان يجد مخرجا من هذه النكبة التى حلت به اذ ما عسى ان يصنع ازاء رجل يبلغ من جراته وجسارته ان يثير حربا شعواء لكى يحقق أغراضه .

وامتدت يده مرة أخرى الى التليفون ولكنه ما لبث ان استرجعها اذ وجد من العبث ان يخطر البوليس بالامر . فليس للبوليس او اية سلطة اخرى قدرة على معالجة المسائل التى من هذا القبيل . كما انه ليس من المصلحة ان يتصل بالبوليس فتذيع الصحف ما حدث فتهبط قيمة اسهم الشركة قبل ان يتمكن من بيعها . .

وقبل ان يغادر كامبارد مكتبه فى ذلك المساء ارسل الى شانتيت ردا على برقيته هذا نصه :

« انى اعتقد ان الذى دبر الحرب مجرم يدعى سيمون تمبلار اى القديس كان يهددنى . . استعلم عن كل اجنبى نزل فى بسالا او ماديرا واذكر لى اوصافه واخبرنى بالتطورات الجديدة . .

وقال كامبارد فى نفسه : ان الحرب التى بداها تمبلار . . يمكن ان يوقفها تمبلار ايضا . .

فلو انه استطاع ان يتصل به وساومه لامكنه ان يضع حدا لهذه الكارثة ولكن صحف المساء خرجت على الناس وهى تحمل انباء الحرب فادرك كامبارد ان الوقت قد فات لاجراء التسوية التى كان ينوى ان يقوم بها وظل ارقا طول الليل لا يزور النوم جفنيه . فلما رجع الى مكتبه فى الصباح اتصل باحد السماسرة وقال له :

— انى اريد ان تبيع لى عشرين الف سهم من اسهم شركة بسالا لمنتجات البترول . . وارجوك ان تبيعها باحسن سعر . .

فكان جواب السمسار ان قال متهكما : احسن سعر . . ليتنى امكن من ان ابيعها باى سعر لقد تاخرت فى طلب البيع وسبقك المضاربون . .

فقال كامبارد فى صوت يدل على العجب : سبقنى المضاربون ماذا تعنى ؟ .

— اعنى ان كمية كبيرة من الاسهم بيعت بالامس واول امس على المكشوف فلا شك ان اخبار الحرب اتصلت ببعضهم قبل اذاعتها فى الصحف . . وهم اليوم يغطون المبيعات . فلا شك انهم قد ربحوا بضعة الوف من الجنيهات .

وعض كامبارد على شفتيه غيظا . . اذن فقد بيعت الاسهم على المكشوف باسعار عالية . . واليوم عندما انحدرت القيمة سيشترى البائعون الاسهم ليقدموها الى المشترين السابقين تغطية لمراكزهم . .

ولم يكد كامبارد يضع سماعة التليفون حتى جاءته الانباء تباعا من مختلف وكلائه تؤكد ما ذكره له السمسار .

وبعد الظهر اتصل به السمسار الاول وانباه بانه باع باسمه ستة آلاف سهم بسعر شلنين للسهم الواحد .

فصاح كامبارد وهو يكاد يبكى : ايباع السهم بشلنين وقد اشتريته باربعين شلنا .

فقال السمسار فى برود : هذا هو احسن سعر فى السوق الان . . والسوق متخمة بهذه الاسهم . . فليس هناك من يرضى بشرائها . . ولكن اذا وافقت فيمكننى ان ابيع لك كمية اخرى بسعر شلن واحد .

فصاح كامبارد وهو يكاد يفقد الوعى : شلن واحد . . هذا جنون . .

فقال السمسار متهكما : ان الناس ينصحون لى بان استبقى هذه الاسهم لدى فاغطى بها جدران بيتى . فانها مزوقة

بنقوش خضراء وحمراء جميلة الشكل .. وقد تكون انسب من ورق الجدران ..

فوضع كامبارد سماعة التليفون في عنف واخفى وجهه فى يديه وهو يكاد يجن يأسا . وعندما دخل عليه سكرتيره بعد ثلاث ساعات وجده لا يزال جالسا وهو مسند ذقنه على راحة يده .. وقدم اليه السكرتير برقية فضها وحل رموزها الشفرية فوجد هذا نصها :

« تقدمت جيوش ماديرا تقدما كبيرا . الامل الوحيد هو البيع باى سعر كان .. الرجل الذى سألتنى عنه وصل منذ اربعة شهور .. » .

ومزق كامبارد البرقية حانقا والقاها فى سلة المهملات ..

لقد وقعت الكارثة ولا فائدة الان من الاتصال بسيمون تمبلار وكان كامبارد عندما اشترى اسهم بسالا قد استطاع ان يحصل على ضمان بعض المصارف المالية وهذا معناه ان عليه ان يغطى قيمة الاسهم من ماله الخاص اذا هبطت عن سعر معين . ولذلك لم يدهش حين جاءه رسول البنك فى تلك اللحظة يطلب منه تغطية الفرق .

وحرر كامبارد شيكا بالمبلغ المطلوب ولكنه كان يعلم ان ليس له فى البنك شلن واحد يقابل به قيمة الشيك .

وامر كامبارد باعداد سيارته وعندما غادر المكتب اشترى احدى الصحف واطلع فيها على ما انتاب البورصة من الذعر والهلع لنزول اسعار اسهم شركة بسالا .

ولما بلغ منزله وجد فى انتظاره خطابا هذا نصه :

« لقد بعت اسهم بسالا على المكشوف منذ يومين وغطيت مركزى اليوم . وبلغت ارباحى اكثر من عشرة آلاف جنيه .... فبعد خصم عشرة فى المائة كعمولة تحصيل سأتبرع باسمك

للاعمال الخيرية بتسعة آلاف جنيه . وسيظهر اسمك فى سجل فاعلى الخير .. » .

« القديس سيمون تمبلار »

وفى ذلك المساء تناول كامبارد عشاء دسما وشرب بمفرده زجاجة كاملة من الشمبانيا وعقب ذلك دخن سيجارا كبيرا وامارات الارتياح تلوح على وجهه .

وعندما فرغ من تدخين سيجارته دخل الى مكتبه واوصد الباب على نفسه واخذ يتمشى جيئة وذهابا فى ارجاء الغرفة فى خطوات مضطربة كان الخادم يسمع وقعها المتتابع ويعجب لما اصاب سيده فى تلك الليلة .

وفى الساعة العاشرة لم يعد الخادم يسمع وقع خطوات سيده ..

ولكنه سمع طلقا ناريا يدوى فى ارجاء المكان . وعندما فتح الباب وجد سيده جثة هامدة .

الفصل السابع

للمحكوم عليهم بالاشغال الشاقة فى سجن سانتا ميراندا الحق فى ان يناموا ثلاث ساعات بعد ظهر كل يوم . ولم يكن هذا النظام راجعا الى ما طبع عليه ولاة الامور من الرحمه والشفقة . وانما كان راجعا الى ما اعتاده الحراس والسجانون من النوم ثلاث ساعات فى ذلك الوقت . ولم يخلق الله بعد الطريقة التى تجعل السجين يستمر فى اداء الاشغال الشاقة اذا نام حارسه او غفل عنه لحظة واحدة . ولم يكن معقولا ان يترك الحراس المسجونين فى الجبال دون رقيب .

فاذا حان وقت القيلولة ارجعوا المسجونين الى «الزنزانات» وصعد الحراس الى مخادعهم فى الطابق الاعلى فوق السجن

وتركوا واحدا منهم ليحرس المسجونين ويجلس هذا الحارس على مقعد في نهاية الدهليز ويضع بندقيته الى جانبيه ثم يستغرق هو ايضا في النوم .

وكان تمبلار منذ حكم عليه القاضي بالسجن لاهانته الحكومة لا يفتأ يراقب السجان ويدرس عاداته وطباعه ويفكر في اللحظة التي تمكنه من الفرار من السجن وفي هذا اليوم صح عزمه على الفرار ..

فلما رأى رأس السجان يتدلى على صدره وعرف ان النوم غلبه نهض التدبس واقفا ونظر اليه من خلال نافذة الزنزانة

وانتزع تمبلار زرا من ثوبه وقذفه على السجان فصاب وجهه . وتحرك الرجل في مقعده وزمجر ببضع كلمات غير مفهومة ..

ورماه تمبلار بزر آخر .. فهز الرجل رأسه ومسح وجهه بيده ثم مد ساقيه امامه وتثاءب في صوت مسموع .

وهمس تمبلار قائلا : يا سنيور ..

فالتفت اليه السجان وقال مزمجرا : ماذا تريد ايها المخلوق القذر كيف تجرؤ على أن تزعجني بصوتك الكريه ؟ اغلق فمك واياك ان تتكلم والا انهلت عليك ضربا .

فقال تمبلار في صوت خافت وهو مطمئن الى أن المسجونين لن يسمعوه لانهم كانوا جميعا مستغرقين في النوم لقد اردت ان اسأل مولاي عما اذا كان يسمح لي بان اقدم اليه خمسين بيسو (عملة اسبانية) هدية مني . ؟

ومرت بضع دقائق دون أن يحظى بجواب من السجان .. ولكنه سمعه وهو ينهض وسمع وقع خطواته وهو يدنو من الزنزانة ووقف السجان امام باب الزنزانة وقال يخاطبه في صوت خشن ..

— ايها المخلوق الوضيع الحقير هل صحيح انى سمعتك

تتكلمان عن خمسين بيسو ؟ من [illegible] اين لك هذا المال . ؟

فقال العبد في صوت ذليل : ان معي خمسين بيسو واني اريد ان اهرب ..

— ولكن هذا مستحيل ؟ لقد فتشناك [illegible] جيدا قبل دخولك السجن ..

— لقد كانت مخبأة .. وسأقدمها الى مولاي دلالة على اني [illegible] غير كاذب .. واني اعرف مكانا [illegible] خبأت فيه اضعاف اضعافها .. [illegible] ستطلعك عليه اذا سمحت و[illegible] اطلقت سراحي . الم تسمع انني قبل القبض على انفقت [illegible] في المدينة من المال ما يسد حاجتك اعواما كاملة ؟ الم اقدم [illegible] الشراب مجانا الى كل من شاء ان يشرب على حسابي ؟ [illegible] انني رجل غني ولا احفل بالمال ..

وهرش السجان [illegible] ذقنه وهو يقول في صوت ودود :

— ارني اولا ا[illegible] الخمسين بيسو فاصدقك ..

فتخلل تمبلار [illegible] شعره الطويل باصبعه ثم مد يده الى السجان ماذا فيها ؟ [illegible] ورقة مالية من فئة الخمسين بيسو . وعرفها السجان و[illegible] لمعت عيناه جشعا .

ومد يده من خلال سياج الباب لكي يأخذها .. ولكن تمبلار تراجع الى الخلف وابى ان يقدمها اليه .. واظلم وجه السجان وقال حانقا :

— ايتها الحشرة الحقيرة .. انك سجين وكل اموالك من حق الدولة وبصفتي ممثل القانون والحكومة في هذا السجن فلي الحق في ان اصادر هذه الورقة المالية ..

ومد يده في جيبه ليخرج مفتاح الزنزانة .. ولكن تمبلار قال له :

— لا تتعجل يا صديقي .. فانك ان حاولت ان تأخذ هذه الورقة صرخت باعلى صوتي وايقظت الحراس من نومهم

فيحضرون مسرعين ليروا ما حدث .. فاخبرهم بانك اخذت مني خمسين بيسو .. وعند ذلك لابد ان يتقاسموها معك فلا ينالك من هذا المبلغ الا شيء طفيف .. كما انني لن اخبرك بالمكان الذى اخبيء فيه بقية اموالى بين الصخور فى فناء السجن ..

وقال الحارس وقد اقتنع بمنطق تمبلار :

— ولكن انى لى أن اعرف انك تصدقني القول ؟

ومد تمبلار يده الى شعره مرة اخرى ثم بسطها فاذا فيها رزمة من الاوراق المالية من فئة الخمسين بيسو اخذ يعدها فكانت ثلاثين ورقة والحارس يراقبه بعينين يشع منهما الطمع والجشع ..

وقال تمبلار : ان معى كما ترى ١٥٠٠ بيسو، فهيا افتح هذا الباب تكن لك .. !

وضاقت عينا السجان فى خبث ودهاء ..

يظهر ان هذا العبد الابله يعتقد انه سيفرج عنه مقابل هذا المبلغ الحقير ! .

ان المبلغ ليس حقيرا فى الواقع ولكن افلات السجين سيؤدى الى محاكمة السجان وسجنه هو نفسه مكانه .

ولكن هذا المبلغ ثروة لا يصح ان يدعها تفلت منه فما العمل .. ؟

وتفتق ذهنه عن فكرة ظريفة هى ان يلقى فى روع السجين انه سيساعده على الفرار . فيفتح له الباب ويأخذ منه المال ثم يعاجله برصاصة من الخلف تقتله لساعته فلا يشهد بعد ذلك بانه قدم اليه رشوة .. واذا سئل فى التحقيق عل ما حدث بان السجين حاول الهرب فاضطر ان يطلق عليه النار .. وليس من الصعب ايضا ان يعلل السبب فى فتح باب الزنزانة ..

وقال السجان يخاطب العبد :

— اسمع ايها الرجل .. انني أري من الظلم ان تظل سجينا مع هؤلاء المجرمين ولذلك سأطلق سراحك على شرط ان تعطيني هذا المبلغ ..

— لقد اتفقا ورجع السجان الى مقعده حيث كان قد ترك بندقيته فتناولها ثم رجع الى الزنزانة ففتح بابها وأمر العبد بالخروج منها ..

وكان باقى المسجونين لا يزالون يغطون فى النوم .

وقال السجان فى صوت خافت : والان . اعطني الاوراق المالية ..

وقدم اليه تمبلار يده بالاوراق المالية .. ولكنه تعمد ان يسقط رزمة منها فانتثرت على الارض ..

ولما انحنى السجان ليجمعها انقض تمبلار عليه وطرحه ارضا وشد بيده على عنقه ليمنعه من الصياح بينما انتزع الخنجر المعلق بمنطقة السجان وقال له : اذا صرخت اغمدت هذا الخنجر فى صدرك . فاحذر لنفسك .

وفى بضع لحظات كان السجان طريحا على الارض مكمم الفم موثق اليدين بالسير الذى تعلق به البندقية ..

ونهض تمبلار واقفا وهم بان يمشى ولكنه ما لبث أن رجع الى السجان وهو يقول : ايه .. لقد كدت انسى شيئا مهما ايها الصديق العزيز ..

واخرج الاوراق المالية من جيب السجان ووضعها فى جيبه هو ..

وابرقت عينا الرجل بالشر والغيظ ولكن تمبلار انحنى امامه انحناءة شديدة تدل على منتهى التأدب وقال : ليكلاك الله بعنايته ايها القرد القبيح الوجه ! الان يمكنك ان تنام كما تشاء فلن يزعجك احد من نومك !

ثم انصرف .

واخذ القديس يجتاز الدهليز ركضا حتى خرج الى الفناء الذى تغمره الشمس بأشعتها الوهاجة . فلما دنا من البوابة مشى فى حرص وحذر .

وعلى مقربة من البوابة وفى داخل فناء السجن كان كشك الحارس . وقد انزوى فيه الرجل ليتقى الاشعة المحرقة ..

وكانت بالكشك طاقة صغيرة نظر تمبلار من خلالها فوجد الحارس جالسا على مقعده وبندقيته الى جانبه .. ولم يكن مستغرقا فى النوم ولكنه كان مستغرقا فى الاحلام ..

وكانت جدران السجن عالية من الصعب تسلقها فكانت البوابة هى الطريق الوحيد للخروج .

وغفل تمبلار عما تقتضيه اسباب الحيطة فاعترض جسمه اشعة الشمس فسقط ظله داخل الكشك . وانتبه الحارس عند سقوط هذا الظل فنهض واقفا .. ولكن القديس لم يضيع لحظة واحدة فقد بادره بلكمة عنيفة جعلته يترنح واخمدت صرخة الاستنجاد التى كادت تنطلق من شفتيه .

واسرع تمبلار ففتح البوابة وخرج من السجن ..

ويقع سجن سانتا ميراندا فى شرق المدينة على مقربة من البحر . فاضطر تمبلار لكى يصل الى قصر رئيس الجمهورية ان يخترق المدينة من اقصاها الى اقصاها . ولكنه حرص على ان لا يمر بالشوارع المطروقة . وانما اخذ يسير فى الشوارع الضيقة التى لا يجتازها من الناس الا من كان على شاكلته رث الثياب ذرى الهيئة حتى لا يلفت الى نفسه الانظار .

وكان الاهالى لا يزالون غارقين فى قيلولة بعد الظهر فلم يكد يلقى فى طريقه انسانا .. والذين قابلهم لم يهتموا حتى بالنظر اليه لان الحرارة المرهقة كانت تعمى الابصار ولا تساعد العقول على التفكير ..

ولم يقصد تمبلار الى قصر رئيس الجمهورية عن طريق

الباب الامامى وانما دار حوله من الخلف حتى لا يراه الحراس ..

ووجد نفسه على مقربة من برج كبير مرتفع يقوم فى نهاية الفناء وكان يعلم ان رئيس الجمهورية قد شيد هذا البرج ليجعله بمثابة قصر صيفى يلجأ اليه عند اشتداد الحرارة اذ كان لارتفاعه ندى الهواء عليل النسمات .

ولم يكن تمبلار يرى هذا البرج حتى طافت بذهنه خاطرة فجائية . كانت من تلك الخواطر الشيطانية التى تبرز بغتة فى دماغه فلا يملك الا ان يخضع لها على الرغم من انها جنونية بالاخطار والمهالك ..

كان تمبلار يعلم ان انصياعه لهذه النزوة قد يعرضه للموت وقد يفسد خطته ولكنه مع ذلك لم يحفل ولم يكترث . وقرر ان يدخل الى هذا البرج .

وتعلق بشجرة قريبة من البرج وزحف على اغصانها فى خفة ورشاقة وقاس المسافة بنظره ثم وثب وثبة جعلته يستقر على سور القصر . وفى وثبة اخرى بلغ الارض التى تبعد عنه باربعة امتار ..

وكانت الحديقة خالية ليس فيها احد فاجتازها تمبلار مسرعا وهو يستتر بالاشجار حتى بلغ درج الشرفة فارتقاه وتعلق بالنافذة وفى وثبة او وثبتين كان فى داخل البرج ..

واخذ تمبلار يجتاز الغرف فى خطوات غير مسموعة الوقع حتى بلغ نهاية دهليز طويل . وفتح بابا وجده امامه .. وما رآه خلف الباب جعل عينيه تلمعان جذلا وسرورا لم يكن ما رآه الا الحمام . !

لقد مضت اربعة ايام وتمبلار حبيس فى سجنه لا يغتسل ولا يحلق لحيته وفى السجن من الهوام والحشرات ما يزعج رجلا مثله اعتاد النظافة والاستحمام مرتين فى اليوم ..

فلما راى البرج قرر ان يدخل اليه لكي يستحم ..
وكانت هذه هي النزوة الفجائية التى استولت عليه ..
كان يعلم أن رجال البوليس يبحثون عنه .. وكان يعلم انه سيعدم رميا بالرصاص اذا عثروا عليه . وكان يعلم ان اى ارجاء او تسويف قد يفسد خطته .. ولكنه مع ذلك لم يبـال بهذه الاخطار التى يستهدف لها وقرر ان يغتسل قبل كل شيء .
كان رئيس الجمهوريه محبا للترف ولوعا بالرفاهية . وقد شيد هذا الحمام على احدث طراز وجلب له الادوات المختلفة من الولايات المتحـدة واستحضر من هنـاك احد المهندسين للاشراف خصيصا على بنائه . فلم يكن فى تنسيقه ونظامه اقل مما يمكن ان يوجد فى قصور كبار الاغنياء من الانجليز .
وبالاختصار كان هذا الحمام هو ما يصبو اليه سيمون تمبلار ..
واشعل جهاز التسخين . وبعد بضع دقائق كان حوض الاستحمام مملوءا بالماء الساخن .
واوصد تمبلار الباب بالمزلاج من الداخل وتمدد فى الحوض ليستنقع بالماء الدافىء فترة من الوقت ثم ارتدى ثيابا نظيفة وجدها هناك ثم حلق لحيته الطويلة النامية ..
وبعد نصف ساعة غادر تمبلار البرج وعلى شفتيه ابتسامته المعهودة ابتسامة التحدى والنضال وعدم الاكتراث بالاخطار .

الفصـل الثامن

مسح اركى شريدان جبينه الذى كان ينصبب عرقا وقال :
ـ شكرا لله على ان رجعت .. هل دبرت كل شيء ؟
فاجاب كيلى : نعم لقد اعددت الجيش الذى سيغزو المدينة هل جد امر اثناء غيبتى ؟

ـ كلا .. لم يحدث شيء ذو اهمية .. لقد وصلت برقية او برقيتان ، وانى لاتساءل عما يقولون فى نهاية الخط فى لوندينا ..
فابتسم كيلى وقال :
ـ هذا هو ثانى يوم مر على انقطاع الخط التلغراف .. ولكنهم لن يفكروا فى اصلاحه الا بعد اسبوع على الاقل .. كم الساعة الان ؟ .
ونظر شريدان فى ساعته وقال : الحادية عشرة والربع .
جرى هذا الحديث بين الرجلين وهما جالسان فى غابة تقع على الحدود بين ماديرا وبسالا وعلى مسافة عشرة اميال من اسبرانزا ـ فى اليوم الذى هرب فيه تمبلار من سجنه وكان الطريق الوحيد الذى يصل بين جمهوريتى بسالا وماديرا يبعد عنهما نحو ميل او اقل .
ويصل بين البلدين خط تلغرافى اقيمت اعمدته على طـول هذا الطريق .
وكان الخط التلغرافى سـليما ليس به عطب الا فى هـذا الموضع الذى يجلس شريدان وكيلى على كثب منه . ولم يكن هذا العطب قد حدث بالقضاء والقدر وانما احدثه شريدان وصاحبه عمدا تنفيذا للخطة التى وضعها سيمون تمبلار .
فمنذ هذه النقطة قطعت الاسلاك واوصلت اطرافها بسلك اضافى معزول . ولم يتابع السلك الاضافى سيره المعتاد على طول الطريق وانما حول وادخل الى الغابة ومد حتى المكان الذى يجلس فيه شريدان ..
واوصل شريدان اطراف هذا السلك الى جهاز استقبال وارسال الاشارات الموضوع امامه .
وبهذه الطريقة كان شريدان بمثابة محطة تلغرافية : فما من اشارة تبودلت بين ماديرا . وبسالا الا مرت بالجهاز

الذى امامه وكان هو الواسطة الوحيدة لنقلها الى البلد الاخرى ..

وهكذا امكن شريدان أن يرسل الى بسالا تلك البرقية التى زعم فيها انها مرسلة من رئيس جمهورية مادرا والتى يتوعد فيها بسالا بالحرب اذا هى لم تفرج عن المدعو الاسكندر المقدونى وتوصله الى الحدود لغاية ظهر الاربعاء .

وكان تمبلار مطمئنا الى ان من المستبعد ان يفطن احد المارة الى قطع سلك التلغراف نظرا لان الانتقال بين البلدين قليل فضلا عن انه امر شريدان بان يتحقق من الحيطة فى تحويل الاسلاك الى داخل الغابة ما يكفل عدم لفت الانظار .

ونظر شريدان فى ساعته وقال :

— باقى على الموعد الذى حددناه لاعلان الحرب نصف ساعة .. فما رايك فى أن ترسل برقية اخرى بمثابة انذار نهائى ؟ .

فقال كيلى مؤمنا : لا مانع من هذا .

فارسل شريدان الى رئيس جمهورية بسالا البرقية الاتى نصها :

« فيما لكم ترفضون الافراج من الاسكندر المقدونى .. ستعبر جنودنا الحدود عند الظهر تماما » .

وفى انتظار الساعة المحددة لاعلان الحرب طوى الرجلان الخيمة ونقلاها الى السيارة العتيقة التى كانت مخبأة خلف الاشجار ..

وقال كيلى متسائلا : ترى ما الذى صنعه شاتيت ؟ ارجو ان لا يكون قد فر هاربا ..

— لقد كان موجودا فى بسالا ميراندا حينما رحلنا منها .. واغلب ظنى انه لن يغادرها الا اذا عرف انهم قبضوا على سيمون تمبلار .

وتنهد كيلى وقال : الحق ان تمبلار رجل مدهش ! انه داهية لا يشق له غبار ! ومما يؤسف له انه ليس ايرلنديا !

فقال شريدان ممازحا : ان الله لم يهب الايرلنديين بعد مثل هذا الحظ من الذكاء والعبقرية ..

ثم اردف قائلا : ان تمبلار رجل عظيم . وانى معجب به اشد الاعجاب وصدقنى انه لو اعلن الحرب على الشياطين لما ترددت فى مرافقته ..

وقال كيلى وهو يرسل من فمه دخان غليونه : بمجرد ان ننتهى من هذه المهمة يجب ان نعود الى بسالا ميراندا فان شاتيت شرير لا يرحم وقد يلحق الاذى بزوجتى او بصاحبتك ليلا .. كما ان سيمون تمبلار ..

ورفع شريدان يده يطلب منه الصمت فقد دقت اشارات الجهاز التلغرافى ..

واخذ شريدان يتلقى الاشارات الواردة ويخطها على ورقة امامه فلما انتهى من ذلك حل رموز البرقية وقراها على صاحبه فكان هذا نصها :

« ان جيوش بسالا ستقاوم جيوشكم حتى الموت » ..

« رئيس جمهورية بسالا »

وكانت هذه البرقية هى الرد على برقية مادرا (اى برقية شريدان بعبارة اخرى) التى ينذر فيها بسالا بان الهجوم سيبدا عند الظهر تماما ..

والواقع ان رئيس بسالا ميراندا كان ينوى أن يستمر فى الحرب حتى اللحظة الاخيرة وان لا يترك بلاده لقمة سائغة للغزاة . فلما وقف يودع الجيش قبل مغادرة المدينة للذهاب الى ميدان القتال خطب فيهم قائلا : « ايها الجنود .. هذا هذا يومكم . لا تتراجعوا امام الموت اريقوا آخر قطرة من دمائكم فى سبيل الدفاع عن بلادكم .. ان الموت فى سبيل الوطن

فرض على كل انسان .» .

وكذلك خطبهم دي فيلجا وزير الداخلية في مثل هذا المعنى واختتم كلمته بهذه الجملة التي القاها بطريقة درامية مؤثرة فقال :

ـ ما أعذب الموت في سبيل الوطن . !

وعلى الرغم من ان رئيس الجمهورية ووزيره كانا يرددان هذه الكلمات فانهما لم يريا ان يخرجا على رؤوس الجنود ليموتا في سبيل الوطن وهما يعلمان ـ كما يقولان ـ ان الموت في سبيل الوطن فرض مقدس وواجب لذيذ ممتع .

وعند الظهر جاءت الاخبار من مدينة اسبيرانزا بان العدو قد هاجم المدينة وان جيش الغزاة شرع في اطلاق النار عليها بشدة ..

ولم يكن في اسبيرانزا غير حامية صغيرة قرر رجالها ان يصمدوا في الدفاع عنها حتى تصل اليهم النجدات المرسلة من سانتا ميراندا .

اما جيش الغزاة المهاجمين فكان في الواقع مكونا من رجلين هما : كيلي وشريدان .. ! يعاونهما عدد غير قليل من المدافئ . !

فعلى مسافة ثلاثمائة ياردة من حصون اسبيرانزا اعد كيلي جيش الغزاة في اطراف الغابة المتاخمة للحصون .

وضع كيلي على ارض الغابة نحو عشر مدافئ ملأى بالفحم المشتعل المتوهج وجعل المسافة بين كل مدفأتين عشرين ياردة .. ثم مد فوق خط المدافئ سلكا طويلا شده بين شجرتين عاليتين . ويتدلى من هذا السلك عشرة أسلاك اخرى ثبتت في كل منها كمية من الرصاص وقد ربطت الرصاصات في السلك المتدلى على مسافات متقاربة . وكان كل سلك من هذه الاسلاك العشرة يتدلى بالضبط فوق مدفأة من المدافئ العشر

اما اطراف هذه الاسلاك فكانت مجتمعة عند الشجرة وتمر حول بكرة خاصة بحيث يمكن تحريكها بسهولة . فيتدلى الى المدفأة السلك المراد ازالته فاذا اقتربت الرصاصات من النار انفجرت بتأثير الحرارة فيتدلى السلك تدريجيا فتنفجر الرصاصة التالية وهكذا ..

وكان شريدان هو الذى يتولى تدلية الاسلاك فاخذ الرصاص ينفجر تباعا ويرسل دويا يصم الاذان خيل معه لحامية اسبرانزا ان العدو كثير العدد مزود بالذخائر الكافية وانه ينتشر على خط لا يقل طوله عن مائتى ياردة .

اما كيلي فكان قابعا على الارض يطلق النار من بندقيته على الحصون مراعيا ان يصيب الجدران حتى يكون تطاير الحجارة التى يصيبها الرصاص هو الاثر المادي الوحيد على وجود جيش الغزاة .. ! ولكنه كان يراعى في الوقت ذاته ان لايجعل رصاصه يصيب احدا من الجنود . لان تمبلار كان يريد أن تتم الثورة دون تسفك قطرة واحدة من الدماء .

واجابت الحامية على هذا الهجوم باطلاق النار من بنادقها نحو الغابة . ولكنهم بطبيعة الحال لم يصيبوا احدا لان شريدان وكيلي كانا قد اتخذا من الاشجار درعا لهما .

ولما انفجرت جميع الرصاصات المشدودة في الاسلاك اسرع كيلي وشريدان الى سيارتهما فركباها واتجها الى المدينة وهما يلوحان براية بيضاء .

واستوقف الجنود السيارة وقال لهم كيلي :

ـ لقد كنت في اونديا حينما اعلنت الحرب . ولكنهم سمحوا لى بالعودة الى بسالا لانهم يعرفون انى من رعايا انجلترا .. ولهذا كفوا عن اطلاق النار الان ريثما أمر من خط القتال ..

وقال له الضابط : هل انت ذاهب الى سانتا ميراندا ؟

ـ نعم ..

— اذن اسرع بالله عليك وقص عليهم ما رأيت وأبلغهم أننا في انتظار النجدة .. لقد ابرقت اليهم بما حدث . ولـكن في وسعك أن تعزز أقوالي ..

فقال له كيلي : سأحمل اليهم رسالتك بكل اخلاص .

ولم تكد السيارة تبتعد حتى خرج شريدان من مخبئه تحت الخيمة المطوية . اذ كان لابد له من الاختفاء حتى لا يراه الجنود وهو يعلم انهم يبحثون عنه بتهمة الاعتداء على شانتيت ..

وبعد متابعة السير فترة من الوقت اوقف كيلي السيارة وهبط منها شريدان فتسلق احد اعمدة التلغراف وقطع الاسلاك حتى يمنع كل اتصال بين حامية اسبرانزا وبين ولاة الامور في سانتا ميراندا والا ابلغوهم فيما بعد ما ظهر من ان ليس هناك جيش للغزاة وانهم لم يروا احدا من جنود مادبرا ..

ولكن حين ابلغ وزير الداخلية ان الاتصال متعذر باسبرانزا لم يجد للامر الا تعليلا واحدا هو انها قد حوصرت وان العدو قطع اسلاك التلغراف ! وقد كان مجتمعا برئيس الجمهورية وشانتيت ..

وكانت الساعة اذ ذاك قد اشرفت على الخامسة ولكنهم لم يستمتعوا بقيلولة بعد الظهر المعتادة . بل كانوا جالسين في احدى الغرف يتداولون ويتناقشون في الخطة التي ينبغي اتباعها . وكان الحديث يجرى بنوع خاص بين شانتيت ودى تيلجا . اما رئيس الجمهورية فكان صامتا لا يكاد يتكلم وكان الاثنان لا يحفلان به ولا يقيمان لرأيه وزنا .

واخذ شانتيت يذرع الغرفة جيئة وذهابا وهو غارق في خواطره وتأملاته .. كان يفكر في تلك البرقية العجيبة التي تسلمها من كامبارد والتي عزا فيها هذه الحروب الى تدبير ذلك المجرم الذي يسمونه سيمون تمبلار والذي يعتقد كامبارد

انه نزل في تلك البلاد في الشهور الماضية .

وحدث شانتيت وزير الداخلية بما جاء في تلك البرقية واشار الى ما حدث من شريدان والرجل المجهول الذي كان في رفقته .. ولكن دى تيلجا لم يهضم تلك الفكرة العجيبة التي تقول بأن هذين الرجلين هما اللذان دبرا هذه الحرب .

وقال دى تيلجا معترضا :

— انها فكرة سخيفة غير قابلة للتصديق . اذ كيف يمكن ان يثير هذان المجرمان الحقيران حربا بين دولتين ! ومع ذلك فكن مطمئنا .. اذ لا يلبث رجال الشرطة ان يقبضوا عليهما .. وعند ذلك يزج شريدان في السجن .. اما لويس السادس عشر فلا بد من شنقه ..

وقال شانتيت فجأة : وما الذي يمنع من ان نرسل في استدعاء هذا العبد السجين المدعو الاسكندر المقدوني لنستجوبه بأنفسنا ؟

فقال وزير الداخلية : اما انا فلا اريد ان استجوبه .. وانما سآمر بشنقه غدا بتهمة تحريض الشعب على الثورة .

ولكن شانتيت لم يوافق على هذه الخطة ومض ذهنه بفكرة نيرة وجد فيها الحل الناجع لهذه المشكلة .

الفصل التاسع

أخذ شانتيت يشرح لصاحبه الفكرة التي طرأت على خاطره .

كان شانتيت يعتقد اعتقادا جازما ان شريدان والرجل المجهول هما اصل هذا البلاء ومصدر هذه النكبات . ومما زاده يقينا انهما اختفيا اختفاء تاما عقب هذه الحوادث ولم

يسمع احد عنهما خبرا على الرغم من جهود البوليس فى البحث عنهما .

وذكر شانتيت بعض الاقوال التى جرت على لسان الرجل المجهول وجدان لا تفسير لهذه الأقوال الا على ضوء التطورات التى جرت .

وكانت نظريته تتلخص فى كلمتين : ما دام ان « المجهول » هو الذى اثار هذه الحرب فهو الذى يستطيع ان يضع حدا لها .

حقيقة ان كامبارد هو صاحب هذه الفكرة ولكن شانتيت ادعاها لنفسه وحرم مبتكرها الأصلى مما يستحق من الفخر .

ولكن ما هى الطريقة التى تمكنه من ارغام الرجل المجهول على ايقاف الحرب الدائرة .. ؟

وكانت ليلا ماك اندرو هى فى نظره الطريقة الوحيدة !

كان شانتيت يعلم ان شريدان متيم غراما بهذه الفتاة .. وشريدان شريك وصديق للرجل المجهول .. فاذا اخذ شانتيت الفتاة رهينة لديه استطاع ان يملى ارادته على شريدان وبالتالى على الرجل المجهول .

وقال شانتيت فى حماسة : انى اعلم انى على صواب فيما اقول .. ان السنيور كامبارد رجل متزن .. وانا اعرفه حق المعرفة ولا يمكن ان يجرى لسانه بكلمة الا اذا كان واثقا منها . فاذا قال ان الرجل المجهول هو الذى دبر هذه الحرب فمعنى ذلك انه هو الذى دبرها .. قد تسخران مما اقول وتهزءان بهذه الفكرة .. ولكن يجب ان تعلما ان كامبارد لا يلقى القول على عواهنه ..

وقال دى فيلجا وقد ايأسه الحاح صاحبه :

— هل جننت يا صديقى .. ان هذا الراى الذى تدلى به يدل على الخرق والحماقة .. ولكن يمكنك مع ذلك ان تتحقق من الامر كما تشاء فلن ينجم عنه اى ضرر .. ولكنى انذرك من الان انك مسئول عما قد يترتب على هذه الخطة .. ان المسنيوريتا ماك اندرو من رعايا انجلترا .. فاذا تدخلت الحكومة الانجليزية فى الامر فستذكر انى على علم بشىء مما فعلت وستلقى المسئولية كلها على كاهلك ..

والواقع ان نفوذ شانتيت انحط منذ اعلنت الحرب . ولم يعد دى فيلجا خاضعا لسطوته كما كان الأمر من قبل . لانه يعده بمتابع نزوله ، انه هو المسئول عن اثارة هذه الحرب الشعواء التى تهدد بزوال مركزه الوزارى .

وقال شانتيت مجيبا : انى على استعداد لتحمل هذه المسئولية .

وغادر القاعة .

وكان جواده فى فناء القصر وقد امسك بزمامه احد الجنود الستة الذين استبقاهم دى فيلجا ليقوموا بواجبات الحراسة بعد ان اوفد الجيش الى ميدان القتال .

ووثب شانتيت الى ظهر جواده وانطلق مسرعا .

ولم يذهب شانتيت مباشرة الى كوخ الايرلندى كيلى ليانى بالفتاة وانما عرج فى طريقه على حانة تقع فى اطراف المدينة وتحدث همسا الى رجلين من قطاع الطرق المعروفين بالقسوة والولع باهراق الدماء . وبعد ان دس فى ايديهما حفنة من المال غادر الثلاثة الحانة مسرعين متجهين الى مسكن الايرلندى .

وكان كيلي وصاحبه شريدان فى طريقهما الى الكوخ ولكنهما كانا لا يزالان على مسافة عشرين ميلا لان سيارتهما العتيقة كانت لا تقوى على الاسراع .

اما تمبلار فكان فى هذه اللحظة يحلق لحيته فى الحمام الموجود ببرج رئيس الجمهورية .

وعلى اثر انصراف شانيت امر وزير الداخلية باستدعاء العبد السجين فلما جاءه مدير السجن ينبئه بان العبد قد هرب صاح دي فيلجا مزمجرا :

ــ ماذا تقول . ! كيف تمكن من الفرار ؟

فقال مدير السجن فى ارتباك وخوف : لقد حدث ذلك يا مولاى اثناء القيلولة . لقد اخذ السجين يتأوه ويتوجع كانما يوشك ان يموت فذهب اليه الحارس ليرى ما اصابه فلم يكد يدنو منه حتى انقض عليه وشد على عنقه بقبضتيه حتى كاد يخنقه ثم كممه واوثقه .. وبعد ذلك فاجأ حارس البوابة ولكمه لكمة افقدته الوعى .

وقال دى فيلجا : وما هى اوصاف هذا العبد ؟

ــ انه يا صاحب السعادة طويل القامة .. اطول مما هو معروف عادة عن العبيد .. ولو انه اغتسل وحلق لحيته لكان جميل الوجه .. وهو ذو انف ارستقراطي مما يجعلنى اعتقد انه لابد ان يكون ابنا غير شرعى لاحد النبلاء .. وله ايضا عينان زرقاوان ..

فصاح دى فيلجا : عينان زرقاوان . !

ولمعت عيناه واشرق على ذهنه خاطر فجائى .. ان هذا العبد لا يبعد ان يكون هو لويس السادس عشر الذى اعتدى على شانيت .. بل ان من المؤكد انه هو بعينه وانه تعمد ان يثير الشغب حتى يحاكم ويزج فى السجن .

وهذا هو التفسير الوحيد لعدم عثور البوليس عليه على الرغم من البحث المتواصل المستمر .

والتفت وزير الداخلية الى مدير السجن وصاح به فى غضب وهو يصرخ بملء صوته :

ــ ايها الحيوان . ايها الابله . الا تعرف اى رجل ذلك الذى تركته يفلت من بين اصابعك ؟

وضرب المنضدة بقبضته فى عنف فارتعد المدير واسترسل الوزير قائلا :

ــ هل انت اعمى . ؟ اعميت حتى لم تر ان هذا الرجل ليس عبدا حقيقيا ؟ . الم تسمع ايها الغبى عن لويس السادس عشر الذى يبحث عنه البوليس فى كل مكان فلا يعثر عليه لانه محبوس فى سجنك مدع انه من العبيد الارقاء . ؟

واخذ دى فيلجا يتمشى فى القاعة ويداه خلف ظهره . اذن، فقد صدق شانيت فيما ذهب اليه .

والتفت الى مدير السجن وقال له : يجب القبض على هذا الرجل فى الحال . على كل شرطى فى ساننا ميراندا ان يبحث عنه آناء الليل واطراف النهار . ويجب اطلاق المنادين فى

الشوارع لحث الجمهور على البحث عنه . وساعطى مكافأة قدرها خمسة آلاف بيسو لمن يقبض عليه حيا أو ميتا .

ثم صاح ثانيا قائلا : اما انت أيها الأعمى الغبى فسأزج بك فى السجن اذا لم يقبض فى خلال عشر ساعات على هذا الرجل الذى يسمى نفسه لويس السادس عشر او الاسكندر المقدونى .

وقال مدير السجن : سأصدر الأوامر بنفسى يا صاحب السعادة .

ولكنه لم يكد يخرج من الغرفة ويوصد الباب وراءه حتى انقض عليه سيمون تمبلار الذى كان مختفيا فى الردهة . فشد على عنقه ليمنعه من الصياح وهدده بخنجره أن هو حاول ان يستنجد .

وفى سرعة البرق كمم فمه ثم حمله على ظهره ومشى به الى نهاية الدهليز فدفع باب غرفة كان قد مر بها فى قدومه ووضعه على الفراش القائم فى وسطها ثم أوثق ساقيه وقدميه فى اعمدة السرير حتى يمنعه من الفرار . وانحنى امامه فى تأدب عظيم وقال :

ـ سأطلق صراحك يا مولاى بعد انتهاء الثورة .

ثم تركه فى المخدع ورجع الى القاعة الكبرى . ففتح بابها فى هدوء ودخل .

كان دى نيلجا منحنيا على المكتب وهو يحرر امرا بالقبض

على الهارب ويعلن عنه من المكافأة المرصودة .

وكان رئيس الجمهورية هو الذى لاحظ قدوم هذا الدخيل فارسل صرخة مكتومة تدل على الذعر .

ورفع مانويل دى نيلجا رأسه ثم زمجر صاخبا وانبعث واقفا بسرعة فقلب الدواة الموضوعة امامه .

وصاح فى صوت أجش : من انت ؟

ولكنه كان يعرف الجواب قبل ان ينطق به صاحبه .

ولكن تمبلار قال مجيبا : انك تعرفنى باسم لويس السادس عشر او الاسكندر المقدونى . ولكن اصدقائى . واعدائى ايضا . يعرفوننى باسم سيمون تمبلار الشهير باسم القديس

ثم أردف قائلا : وهناك مسألة أخرى يجب أن تعلمها ، وهى اننى رب الثورة وحاضنها .

وكان تمبلار واقفا عند الباب مستندا اليه بظهره ، ويداه فى خصره بدون اكتراث وعلى شفتيه تلك الابتسامة الهازئة وفى عينيه نظرات تدل على قلة المبالاة .

ومرت لحظات قبل ان يستوعب دى نيلجا معنى الكلمات التى نطق بها تمبلار فقال مستفسرا : ثورة . ! اية ثورة .

فانحنى تمبلار رأسه وقال :

ـ اننى انا نفس الثورة . وانا الذى دبرت هذه الحرب لكى اجعل الجيش يغادر سانتا ميراندا الى ميدان القتال . فلا يبقى بعد ذلك الا نفر معدود من الجنود يسهل على ان اتخلص منهم .

ثم ابتسم وأردف يقول : قد أكون مدهشا ولكن من المؤكد

اني لا استطيع ان احارب جيشا بمفردي .

وقال دي نيلجا في صوت مضطرب متحشرج انكر هو نفسه انه صوته :

ـ انك مجنون ! هل نسيت ان الجيش لا يلبث ان يعود! واذ ذاك يقبض عليك وتعدم رميا بالرصاص .

فهز تمبلار راسه نفيا وقال : اسمح لي الا اوافقك على هذا الراى .. ان الجيش سيعود حقيقة ولكنه سيجد حكومة جديدة تتولى السلطة. والجيش في كل مكان يخدم الدولة ولا يخدم فردا معينا او حكومة معينة طبعا . قد يفكر الجنود في ان يقوموا بثورة اخرى ليسقطوا الحكومة الجديدة اذا كانت لا تروقهم . ولكنني اعلم انهم لن يقدموا على ذلك لان الحكومة الجديدة ستعجبهم . وكيف لا يرضون عنها وهى ستبدا عملها بزيادة مرتبات الجنود . !

وضحك تمبلار وقال : وارجوك ان تلاحظ هذا الفرق ؛ انه فرق طفيف ولكن النتائج التى تترتب عليه خطيرة جسيمة .. اذا انت حاولت ان ترشو الجيش لكى يؤيد الثورة كان عملك هذا خيانة كبرى يندد بها الوطنيون المخلصون . ولكن اذا احتفلت بالدستور الجديد بتوزيع الهبات على الجنود وبرفع مرتباتهم فانك لن تجد من يعترض على عملك مع ان الواقع ان زيادة المرتبات في هذه الحالة ستكون بمثابة رشوة لاغراء الجنود على تاييد الحكومة الجديدة .. ولكنها رشوة مقبولة قانونا وتقرها التقاليد المرعية .

فقال دي نيلجا : والشعب ؟

ـ اتظن ان الشعب سيبكى على فراقك ؟ لقد ارهقته بالضرائب الكثيرة ، ونحن سنلغى هذه الضرائب ونخفف من عبئها . فلماذا لا يؤيدوننا . ؟ ان الشعب ناقم عليك وتنقصه الشجاعة الكافية لاعلان الثورة . ولهذا لن يتردد احد في نصرتي والهتاف لي .

والتمعت عينا تمبلار واخذ ينقل نظراته بين وزير الداخلية ورئيس الجمهورية ثم تقدم اليهما خطوة وانحنى في تادب وقال :

ايها السادة : لقد حضرت لكى اطلب اليكما الاستقالة .

ونهض رئيس الجمهورية واقفا وانحنى في تادب ثم رفع راسه وقال في كلمات سريعة :

ـ ساكتب استقالتي في الحال يا سنيور .. اذ يلوح لي ان بلادى لم تعد في حاجة الى خدماتي .

وابتسم تمبلار وقال : شكرا لك يا مولاى .

اما دي نيلجا فصاح مزمجرا مخاطبا رئيس الجمهورية :

ـ هل فقدت الوعى حتى تقول هذا . ! دعنى اتدبر الامر بنفسى .

ثم ازاح الرئيس من طريقه ودار حول المكتب وكان سيفه يتدلى الى جانبه ومسدسه معلقا في منطقته .

ووقف امام سيمون تمبلار ويده على مقبض سيفه بينما اخذت يده الاخرى تعبث بزرار جراب المسدس ويحاول ان يحلها .

وجعل ينظر الى تمبلار وهو يقول : وهل تمت الثورة ؟

فاجابه تمبلار : نعم . وانا الذى قمت بها واتممتها .

ورفع دي فيلجا يده اليسرى واخذ يفتل شاربه ثم قال :
ـ يا سنيور .. ان هذه القاعة تطل على الفناء الخارجي للقصر .. وقد امضينا فيها سحابة نهارنا ومع ذلك لم تسمع صوتا واحدا يدل على ثورة قامت في المدينة .. فهل ثار الشعب وهو مستغرق في النوم ؟ اننا لم نسمع احدا منهم يهتف للحكومة الجديدة .

فقال تمبلار في هدوء : سيهتف الناس حينما يعرفون انهم تحرروا ..

فقال دي فيلجا مسترسلا وعيناه تلتمعان :
ـ واين اصدقاؤك ؟ اظنهم قد طوقوا القصر وقبضوا على الحرس دون ان ترتفع صرخة استنجاد واحدة او تنطلق رصاصة واحدة . انها تكون ثورة عجيبة تلك التي تقول انها تمت دون ان نسمع ما يدل على وقوعها .

فضحك تمبلار وقال : انك تظلمني يا صاحب السعادة ظلما بينا .. وتحاول ان تحرمني من اكاليل المجد والفخار الذي استحقه وحدي .. ! لقد قلت لك انني رب الثورة وحاضنها .. ومع ذلك لا تفتأ تتكلم عن الثورة كأنها مشروع اشترك فيه سواي ! .

وتراجع دي فيلجا خطوة الى الوراء وهز رأسه وهو يقول في لهجة تدل على التحدي : اذن .. فمعنى ذلك انك قمت بالثورة وحدك وان الشعب يجهل ما حدث وكذلك يجهله حرس القصر كما يجهله الجيش .. ! اذن . فهل لك ان تنبئني عن الذين يعلمون بما وقع ؟

فأجابه تمبلار في بساطة : نحن الثلاثة .. وكذلك الصديقان اللذان قاما بالحرب لاجلي .. وكذلك مدير السجن الذي قبضت عليه الآن عند خروجه من هذه القاعة وحبسته في احدى الغرف مكمما موثقا .

ثم اردف تمبلار قائلا : والسر في هذا التكتم واضح لا خفاء فيه .. انني رجل اكره سفك الدماء . ولذلك قررت ان تقع هذه الثورة دون ان تراق فيها قطرة واحدة من الدم .. وحسبكما ان تستقيلا وتعينا الحكومة الجديدة ليتم كل شيء على ما يرام .. ولابد بعد ذلك من ان تغادرا البلاد منفيين . واذا عدتما كان الاعدام مصيركما .

وكان دي فيلجا في خلال هذا الحديث قد تمكن من فك ازرار جراب المسدس المعلق في منطقته . وقد ظن انه فعل هذا خلسة دون أن يراه تمبلار . مع أن الواقع ان تمبلار نظر اليه من اول الامر ولكنه تركه على ظنه شأن القط اذا ربض ساكنا وترك الفأر يمشي محاولا الهرب دون ان تعرض له ثم يثب عليه وثبة واحدة وينشب فيه أنيابه .

وكذلك قصد تمبلار ان يفعل .. اراد ان يعبث بدي فيلجا فلم يشعره بأنه يراه وهو يفك ازرار الجراب .

وعندما رأى دي فيلجا يحاول ان يخرج المسدس من جرابه وثب عليه في سرعة البرق ولوى يده اليمنى الى الخلف . وهب الرئيس واقفا .

ولكن قبل ان تفلت اصابعه المسدس كانت قد انطلقت منه

فى الأرض رصاصتان .. ودفع القديس دى فيلجا فى صدره دفعة قوية جعلته يتراجع الى الوراء ويرتمي بين ذراعي الرئيس .

وبينما كان دى فيلجا يتراجع أمسك تمبلار بمقبض السيف فانسحب فى يده وخرج من غمده .

وقبل ان يتمكن رئيس الجمهورية من اخراج مسدسه من جرابه كان تمبلار قد لوح بالسيف فى وجهه وهو يقول متوعداً :

— اترك المسدس .. واطاع الرئيس الامر وترك المسدس .

وارجع تمبلار الرجلين الى الخلف وهو يهددهما ثم التقط المسدسين من فوق الأرض بطرف السيف .

وكان صوت الطلقتين الناريين قد سمع خارج القاعة تصايح رجال الحرس وارتفع وقع اقدامهم وهم يركضون فى الممشى الواقع خارج القاعة .

وامسك تمبلار بكل مسدس فى احدى يديه وصوبهما الى صاحبيهما .

لم يكن تمبلار يتوقع هذا التطور الذى انتهت اليه الحوادث .. كان يقدر أنه سيتمكن من الانقضاض على دى فيلجا قبل ان يخرج مسدسه من جرابه . ولكنه اخطأ فى

تقديره وتأخر به الوقت ثانية أو ثانيتين فاستطاع دى فيلجا أن يرسل من مسدسه هاتين الرصاصتين .

وكادت هاتان الرصاصتان أن تفسدا الخطة الموضوعة .

وقال تمبلار مخاطبا الرجلين وهو يصوب اليهما مسدسيه :

— أطل من النافذة يا مولاى وخاطب الحراس الذين فى الفناء اما انت يا دى فيلجا فخاطب الحراس الذين سيفتحون باب القاعة الان .. اخبرهم انه لم يحدث شىء .. وان مسدس الرئيس انطلق عن غير قصد وهو يحشوه .. واذا نطقتما بكلمة واحدة من الحقيقة افرغت رصاص هذين المسدسين فى صدريكما .. انى اعرف ان الاعدام مصيرى اذا قبض على الجنود ولكننى لن ادعهم يقبضون على الا بعد ان اقتلكما .

وتراجع تمبلار الى الخلف ووقف وراء الباب . فلما فتحه الجنود لم يروه .

وقال دى فيلجا يخاطبهم : لا شىء .. يمكنكم أن تعودوا .. ولكن ابقوا على مقربة من القاعة فقد أحتاج اليكم .

وكان دى فيلجا فى الواقع شجاعا اذ تجاسر ونطق بهذه الجملة الأخيرة ولكنه كان يعلم أن تمبلار ما كان ليقتله عقابا على ذلك ما دامت هذه الجملة لن تفضح امره .

اما الرئيس فكان مطلا من النافذة يخاطب الحرس بما هدأ من انزعاجهم ..

ولما انصرف الحرس اوصد تمبلار الباب بالمزلاج ووضع المسدسين في جيوبه وامسك بالسيف ثانية .

ثم قال يخاطبهما : والان ايها السادة اريد استقالتكما او .. حياتكما ! واني على استعداد لان اخذ ايهما تشاءان .. ! والمهم ان آخذ شيئا في الحال .. !

وجلس دي نيلجا الى المكتب ولكنه لم يكتب شيئا ..

وانما تناول سيجارة من الصندوق الذي امامه فأشعلها واخذ يدخن مرسلا من فمه سحابة كثيفة من الدخان .

ونظر من خلال هذه السحابة الى تمبلار وابرقت عيناه ببريق الشر ثم قال في صوت متهكم : ان لدي يا سنيور شيئا ثالثا اقدمه اليك واعتقد انك ستفضله على حياتنا او استقالتنا .

فقال تمبلار هازئا : حقا .. ! وما هو هذا الشيء يا ترى !

ولم يجب دي نيلجا فورا وانما نفث الدخان من فمه بضع مرات ثم قال ونظرات الشر تنبعث من عينيه : سأقدم اليك .. السنيوريتا ليلا ماك اندرو .. !

ولم يكد تمبلار يسمع ذلك حتى قطب حاجبيه وقال :

— ماذا اصابها .. ؟

وعرف دي نيلجا انه اصاب الهدف فقال مجيبا : لقد كان السنيور شاتيت هو اول من اشار الى انك الرجل الذي

دبرت هذه الحرب .. ولم اصدقه بطبيعة الحال ولكني ادركت الان انه كان على صواب .. ولقد تركنا شاتيت منذ نصف ساعة ليختطف الفتاة ويأخذها رهينة لديه .. ولقد اردت ان انبئك بذلك عند قدوم الحرس ولكنك منعتني .. ولهذا طلبت اليهم ان ينتظروا على مقربة من الباب حتى اتمكن من استدعائهم حتى يقبضوا عليك بمجرد اذعانك وتسليمك .

وسكت دي نيلجا برهة ثم استرسل قائلا :

— والان ، دعني املي عليك شروطي .. اريد منك ان توقف هذه الحرب في الحال وان تسلم نفسك وشركاءك الى العدالة .. ومقابل ذلك اتعهد بأن انقذ السنيوريتا ليلا ماك اندرو ..

ثم هز كتفيه واستطرد : اما اذا رفضت فانى لا اضمن شيئا . وانت بطبيعة الحال لا تجهل ان السنيور شاتيت مغرم بالفتاة .. ومن يدري ما الذي سيفعله بها وهي سجينة لديه . ! فما رأيك يا سنيور . انى انتظر قرارك ولكن اسرع فان وقتي اضيق من ان يمكنني من الانتظار .!

وضحك دي نيلجا مسرورا . وكانت ضحكة شيطانية رهيبة ارسلت قشعريرة في جسد تمبلار حين عرف الخطر الذي يتهدد الفتاة المسكينة .

الفصل العاشر

اتكأ تمبلار على مقبض سيفه .

واخذ يلعن نفسه على تلك الحماقة التى ارتكبها . انه ما وقع فى حياته فى مثل هذه الغلطة . وما اقدم على عمل الا كلله بالاحتياطات الضرورية واتخذ حسابا لكل شيء . فكيف فاته أن يفكر فى ليلا ماك اندرو وأن يحتاط لهذه الفكرة الشيطانية التى طرأت على بال شانيت باتخاذ الفتاة رهينة

ليرغم تمبلار على التسليم .

واخذ تمبلار يفكر بسرعة وكان مخه يدور ويدور كانه مروحة كهربائية انطلقت باقصى قوتها . ولكن وجهه مع ذلك كان هادئا ساكنا لا ينم عن شيء مما يجول بنفسه .

وقال تمبلار فى صوت عادىء : وما الذى يجعلنى اطمئن الى انك ستفى بوعدك . ؟

فكان جواب دى فيلجا : لا شيء طبعا . ولكنك تعرف انك ان رفضت فليس هناك ما يوقف السنيور شانيت عند حده . انى لا استطيع ان اقدم اليك ضمانا . وكل ما اقدمه اليك انما هو مجرد أمل . ولا اظن ان لك حق الاختيار او املاء الشروط . فلك ان ترفض ما اعرضه عليك ولك ان تختار اهون الشرين .

ولم يكن تمبلار يجهل ان هذه هى الحقيقة . فليس هناك ضمان لوعد دى فيلجا وهو بعد رجل لا يعتمد على شرفه ،

ولكن الرضوخ هو الوسيلة الوحيدة لانقاذ ليلا ماك اندرو .

ولكن التسليم سيتناول معه كيلى وشريدان وليس من حقه ان يتكلم بالنيابة عنهما فى مثل هذا الشأن .

وكبر على نفسه ان يسلم بالهزيمة وهو الرجل الذى لم يعرف الهزائم طول حياته ما من معركة اشترك فيها الا خرج فائزا . ما من نضال اشتبك فيه الا انتهى بنصره . فكيف يخفق فى هذه المرة .. !

كلا . انه لن يسلم ولابد أن يجد مخرجا من هذه الورطة .

واخذ يسائل نفسه عن كيلى وشريدان واين هما الان . وجعل يحسب متوسط ما يمكن ان تقطعه سيارتهما العتيقة وطول المسافة بين اسبرانزا وسانتا ميراندا . كما انه لم ينس وعورة الطريق . وبعد التفكير فى هذه المسألة رجح لديه ان كيلى وشريدان يوشكان ان يصلا وان قدومهما متوقع ما بين لحظة واخرى . فاذا وصلا الى الكوخ فاغلب الظن انهما سيعرفان بان مس ليلا ماك اندرو قد اختطفت .

وقال تمبلار يسأل دى فيلجا : والسنيورا كيلى ؟ ما شأنها ؟

فاجابه دى فيلجا : انها لا اهمية لها وسنتركها فى كوخها لاننا لسنا فى حاجة اليها .

وابتهج تمبلار بذلك فان مسز كيلى ستقص على زوجها

وشريدان تفاصيل ما حدث . واذا فرض وقتلها الجنود فان جثتها ستكون ناطقة بما وقع . وغلب على ظنه مع هذا انهم لن يتعرضوا لها لانها سيدة متقدمة فى السن وليست على شىء من الجمال .

ولا شك ان شريدان وكيلي سيخفان الى القصر مسرعين على الاثر ويقتلان كل من يعترض سبيلهما حتى يصلا الى شانتيت ويستردا الفتاة اعتقادا منهما بانها موجودة بالقصر .

واعتدل تمبلار فى وقفته ونظر اليه دى فيلجا منتظرا قراره الاخير ولكن لم يكن فى نظرات تمبلار ما يدل على انه قد ازمع التسليم .

وتقدم تمبلار الى الوزير ووضع سن سيفه على صدره وقال فى صوت هادىء : لقد قلت انى حضرت ابتغى استقالتكما . فيجب ان تدركا انى لم اكن امزح . هيا يا دى فيلجا اسرع بكتابة استقالتك والا اغمدت سيفى فى صدرك .

فصاح دى فيلجا قائلا : اتظن ايها المجنون ان استقالتى كفيلة بان تنقذك ؟

فاجابه تمبلار فى برود : انى راض بهذه المجازفة وخفض صوتك والا ظننتك تتعمد رفعه ليسمعه الحراس هيا اكتب !

ونخس صدر دى فيلجا بسن السيف فتراجع هذا الى الوراء وهو يقول فى ذعر : انك ستقتلنى .

— وهذا ما انوى ان افعله اذا لم تكتب استقالتك فى الحال .

وساد الصمت عليهم فجأة وارهفوا جميعا آذانهم للسمع . فقد ارتفع من فناء القصر وقع حوافر جياد تجرى مسرعة .

واسرع تمبلار الى النافذة فراى ثلاثة جياد يمسك الحرس زمامها وراى شانتيت ورجلين معه يهبطون عن ظهورها .

وفى الوقت نفسه راى ليلا ماك اندرو موثقة اليدين .

وابتهج تمبلار حين راى الفتاة فقد ظن ان شانتيت سيذهب بها الى مخبأ خفى . وكان هذا كفيلا بان يعقد المسألة . اما قدومها الى القصر فخليق بان يهونها . ولاح له ان دى فيلجا مكر به حين انباه بان شانتيت اختطف الفتاة لانه مغرم بها وظهر له الان انه ما اختطفها الا لكى يتخذها رهينة رسمية .

وتحول تمبلار عن النافذة فى اللحظة المناسبة التى مكنته من ان يرى دى فيلجا وهو يحاول ان ينقض عليه من الخلف. فرجع هذا الى مكانه يائسا .

ووضع تمبلار السيف على الارض وامسك بالمسدس ، وللمرة الثانية وقف خلف الباب .

وفتح الباب ودخلت الفتاة وفى اثرها شانتيت الذى اسرع باغلاق الباب .

وخرج تمبلار من مخبئه وهو يقول : انى سعيد بمقابلتك مرة اخرى أيها الصديق العزيز !

ودار شاتيت على عقبيه كالملسوع ليرى امامه هذا العدو العريب . وارتسمت على شفتى تمبلار ابتسامة عريضة وقال :

— لا تخرج مسدسك يا شاتيت فانى لست فى حاجة الى مسدس ثالث واعلم ايضا انى مصاب بداء الرعشة . وقد يتحرك اصبعى بلا قصد منى فيضغط الزناد فتنطلق رصاصة تستقر فى قلبك . انى طبعا لا اريد أن اقتلك ولكنه داء الرعشة الملعونة الذى يحرك الاصابع دون تعمد .. ! والان .. اسرع وفك قيود هذه الطفلة اما أنت يا سنيور دى فيلجا فلا تحاول أن تأخذ السيف فقد احتاج اليه بعد قليل ... شكرا لك يا شاتيت . هل آلمتك هذه القيود يا ليلا . ؟

وهتفت الفتاة قائلة : الحمد لله على انك موجود هنا ولكن اين آركى . ؟

— انه لا يلبث أن يصل فكونى مطمئنة . ولكن الم يصبك اذى . ؟ فارتعدت الفتاة وقالت : كلا . لا شىء أكثر من لمس هذا الوحش ومساعديه ولكن الخوف كان مستوليا على .

— سيعرف آركى كيف يلقى درسا فى الادب على شاتيت حين يصل . وهذا من حقه وحده فلا احب ان اتدخل الان فى الامر . لانه لن يصفح عنى اذا انا فعلت . !

ثم ناول تمبلار المسدسين الى الفتاة واوقفها فى ركن القاعة وقال لها :

— لا ترددى فى اطلاق النار على كل من تحدثه نفسه منهم بمحاولة الفرار او النضال .

ثم التفت الى دى فيلجا وقال : والان تفضل يا سنيور بالكتابة وادرك دى فيلجا ان لا فائدة ترجى من النضال بعد الان وقد خسر اللعبة الاخيرة التى كان يعتمد عليها . وخيل اليه ان ما مر به لم يكن الا حلما . ولكنه كان حلما مزعجا يحطم الاعصاب .

ولم تكن الهزيمة هى التى تؤلمه فانه رجل نضال وكفاح لا يملأ الاندحار قلبه يأسا وقنوطا . ولكن الشىء الذى كان يضايقه حقا انما هو ذلك الرجل الواقف امامه وعلى شفتيه تلك الابتسامة الساخرة الهادئة . لو انه كان ازاء رجل من المتآمرين الدمويين لما آلمته الهزيمة . لو انه كان ازاء رجال من الذين يطلقون النار ويقذفون القنابل لما ثارت كبرياؤه وهو يحنى رأسه امامه مسلما مذعنا .

اما هذا الرجل المجنون الذى يبتسم ويضحك فالهزيمة امامه امر لا يطاق .

وفى تلك اللحظة ارتفع من الخارج صوت لا يخطئه السمع . صوت يدل على ان السيارة العتيقة وصلت الى الفناء . وقال تمبلار : اسرعى يا فتاتى فاخرجى المسدس من جيب شاتيت .. حسنا وكما قلت لك لا ترددى فى اطلاق النار . اما انا فساذهب لاقابل الحرس .

ومشى تمبلار الى النافذة واطل منها . فوجد سيارة كيلى واقفة فى وسط الفناء ورأى صاحبيه يهبطان منها وكيلى يلكم الحارس الذى اقترب منهما فيلقيه على الأرض صريعا .

وصاح بهما تمبلار من النافذة يقول : اسرعا ايها العزيزان لقد وصلتما فى الوقت المناسب لكى تحضرا استقالة الوزارة.

وقال شريدان يسأله : هل رأيت ليلا . !

فضحك تمبلار وقال : انها هنا . وبامان فكن مطمئنا .

وجعله الطلق النارى الذى دوى فى القاعة يلتفت خلفه مسرعا .

كانت ليلا ماك اندرو تصوب مسدسيها الى الرجال الثلاثة .. ولكنها نظرت الى النافذة نظرة خاطفة وارهفت اذنيها الى الحوار الذى جرى بين تمبلار وشريدان .

واغتنم شانيت هذه النظرة لكى يفر هاربا . ولكن ليلا فطنت الى حركته فى اللحظة المناسبة وعاجلته برصاصة أردته قتيلا .

وانحنى تمبلار فوق جثة شانيت ولمسها بيده ثم رفع رأسه وهو يهز كتفيه ويقول : انه هو الذى جنى على نفسه بحماقته .

وتناول المسدسين من الفتاة وصوبهما الى ناحية الباب .

وفتح الباب بعد لحظات ودخل الحراس مسرعين على صوت الطلق النارى . فرأوا تمبلار امامهم شاهرا المسدسين .

وقال تمبلار يخاطبهم فى هدوء : والآن . ارفعوا ايديكم ايها السادة ورفع الجنود ايديهم فى خضوع وبعد لحظات اقبل كيلى وشريدان مسرعين . فقال تمبلار : اطمئنا .. فهو شانيت الذى تلقى الرصاصة وكل شىء الآن هادىء فى الميدان الغربى .

وارتمت ليلا ماك اندرو بين ذراعى شريدان .

وناول تمبلار المسدسين الى كيلى وهو يقول : تول انت الحراسة يا كيلى ريثما اتخلص من هذه الحكومة التى لا تريد ان تتخلى عن مقاعدها .

وتناول تمبلار السيف ودنا من الرئيس وهو يقول : هل كتبت استقالتك ؟

فناوله الرئيس ورقة ألقى عليها تمبلار نظرة ثم قال معترضا :

— ولكنك نسيت ان تذكر فى كتاب الاستقالة اسم الرجل الذى سيخلفك . انه سيكون السنيور كيلى ومن يختارهم لمعاونته فى مهمته . فاكتب استقالة اخرى غير هذه .

ولكن كيلى انبرى يقول : لحظة واحدة من فضلك . انى لا احب ان اكون رئيسا للجمهورية . فالرؤساء دائما هدف

للثورات . ولكنى سأكتفى بأن اكون وزيرا للداخلية . ولا مانع عندى من بقاء الرئيس الحالى فى منصبه ، على شرط ان يحسن سلوكه .

فقال الرئيس فى ابتهاج : ان لى الشرف بأن اعمل الى جانبك .

فقال تمبلار : اذن اكتب امرا باقالة دى فيلجا وتعيين السنيور كيلى مكانه .

وجلس الرئيس الى مكتبه وحرر امرا باقالة دى فيلجا وتعيين الوزير الجديد .

وتناول تمبلار هذا الامر وقال يخاطب الحراس :

— ايها الجنود . هذا امر من رئيس الجمهورية باقالة السنيور دى فيلجا وزير الداخلية السابق وحكومته وتعيين السنيور كيلى مكانه . واحتفالا بالعهد الجديد سيصدر السنيور كيلى بعد بضعة ايام امره بالغاء بعض الضرائب المرهقة التى يتذمر منها الشعب . كما انه سيأمر برفع مرتبات رجال الجيش والبوليس . فهيا زفوا هذه البشرى الى اهالى بسالا واطلقوا المنادين فى الشوارع يحملون الى الناس هذه الانباء السارة . هذا وقد ثبت الان ايضا ان ماديرا لم تعلن الحرب على هذه البلاد . فقد كانت هذه اشاعة كاذبة اذاعها دعاة السوء لاغراض خاصة ، وسترسل الان برقية لاسلكية الى الولايات المتحدة لكى تسحب المدرعة الحربية الثانية فى

الطريق فهيا ايها الجنود الشجعان وحدثوا الشعب بمآثر العهد الجديد .

ومرت لحظات قبل ان يستوعب الجنود معنى هذه الكلمات . ثم انطلقوا يصيحون بحناجرهم القوية :

— فليحى الوزير الجديد . فليحى الوزير الجديد ..

ولما انصرف الجنود قال تمبلار : .. لقد كدت انسى شيئا مهما وامر احد الجنود باستدعاء مدير السجن من الغرفة التى حبسه فيها موثقا مكمما .

ولما جىء بالرجل قال له تمبلار : انى اعتذر اليك عن الطريقة التى عاملتك بها .. ولكننى كنت مضطرا الى ذلك لاساعد على نجاح الثورة اما الان وقد تمت الثورة فقد بادرت الى اطلاق سراحك .. انى لست ناقما عليك لانك عاملتنى بالشدة وانا سجين لديك .

فقال مدير السجن معتذرا :

— لو اننى كنت اعلم يا مولاى حقيقة الامر لوفرت لك اسباب الراحة فى السجن .. ولكن فى مرة اخرى ان شاء الله

ولكن تمبلار قاطعه بقوله : لا تقل هذا . ! وقانى الله السوء . !

ثم اشار الى دى فيلجا وهو يقول :

— وخذ هذا الرجل معك واسهر على حراسته ثم انقله الى اول باخرة ترسو فى الميناء . ولا تتركه الا اذا اقلعت الباخرة .

ثم التفت الى دى فيلجا وقال : انت تعلم طبعا ان عودتك الى هذه البلاد ممنوعة وان الموت جزاؤك اذا رجعت .

ولما انصرف مدير السجن ودى فيلجا قال كيلى الايرلندى وفى عينيه امارات الدهشة كأنما خطر له الامر فجأة : اذن فقد انتهت الثورة .

— نعم .. لقد انتهت فقال كيلى فى شىء من الازدراء :

— ولكن .. اين المعارك التى كنت امنى بها النفس ؟

فابتسم تمبلار وقال ليس هناك شىء من المعـارك . الا المعارك الوهمية طبعا .. لقد تمت الثورة على الوجه الاكمل الذى اشتهيه .. فلم تسفك فيها نقطة واحدة من الدم .. لقد كان لى غرضان من هذه الثورة احدهما ان اخرب رجلا فى انجلترا كان فى حياته نكبة على الناس ، خربة بيوت الألوف من متوسطى الحال . فسلبهم اموالهم بحجـة استثمارها لمصلحتهم ثم استولى عليها لنفسه . واغتنى واثرى من اموال المحتاجين وعجز القانون عنه لان فى القوانين دائمـا عجزا يمكن اصحاب البيوتات المالية من ابتزاز الاموال من الجماهير المخدوعة ؛ وقد حققت هذا الغرض لان الرجل فقد

ثروته وانتحر .. اما غرضى الثانى من القيام بهذه الثـورة فهو ان اعيد الى مس ليلا ماك اندرو حق الامتياز الذى سلبه منها شانتيت . وسيكون اول واجباتك يا كيلى بصفتك وزيرا للداخلية ان تصدر قرارا ينقل الامتياز الى اسم مس ماك اندرو .

فهز كيلى رأسه باسما وقال : حقا يا تمبلار انك اعجوبة دهرك .. حينما سمعتك تتحدث عن اشعال نيران الثورة فى هذه البلاد ظننت انها لا تلبث أن تغرق فى الحديد والنار .. وجعلت امنى نفسى بالخروج من حياة الخمـول التى مللتها والاشتراك فى بعض المعارك .

فضحك تمبلار وقال : اذا كنت تشتهى حقا ان تشترك فى معركة فانى على استعداد لان اكلمك بنفسى لانى لا احب ان اخيب رجاءك . لكن اسرع بالله عليك لانى اريد ان الحق بالباخرة التى ستقلع بعد ساعتين .

وبعد ساعتين كان سيمون تمبلار واقفا على ظهر الباخرة .

ووقف على رصيف الميناء اصدقاؤه الثلاثة يحيونه ويلوحون له بمناديلهم البيضـاء .

ولم يكن هؤلاء الثلاثة هم الوحيدون الذين جاءوا لتحيته ووداعه فقد كان الرصيف يزخر بالشعب الحاشد الذى اقبل يودع الرجل الذى انقذه من حكومة الاستبداد والظلم دون أن يتسبب فى سبيل هذه الحرية ولو قطرة واحدة من الدماء .

ولما أخذت الباخرة فى التحرك ارتفع هتاف الشعب حتى بلغ عنان السماء .

وأرسل تمبلار بصره الى الشاطىء ثم تنهد وقال : هـذا أعظم عمل قمت به فى حياتى . لقد أنقذت من قبل أفرادا . أما اليوم فأنقذت شعبا . . !

وارتسمت على شفتى القديس ابتسامة حالمة !

تمت

مطبعة القاهرة الجديدة

٢٣ ش الجيش ــ ت ٩٠٤٢٨٦

رقم الايداع ٣٨٤٥ / ٧٨

قال تيبلار فى غير اكتراث :

— اسمع يا عزيزى المفتش تيل ، يظهر ان التحقيق تقدم بضع خطوات .. لقد قبضت على نفسى بنفسى ، وحضرت معك الى المخفر ، ولا زلت على استعداد لان اؤدى عنك العمل المطلوب منك انت .. فهل تريد منى ان اوجه التهمة الى نفسى ، وان افتش نفسى ، وازج بنفسى فى السجن ؟ خبرنى ماذا تريد منى .. فانى رهن اشارتك .

عدد خاص

روايات الجيب

الثمن ٢٠ قرشا

روايات الجيب

تطلب من مكتبة رجب
١٧ شارع البيدق
خلف مطافى القاهرة